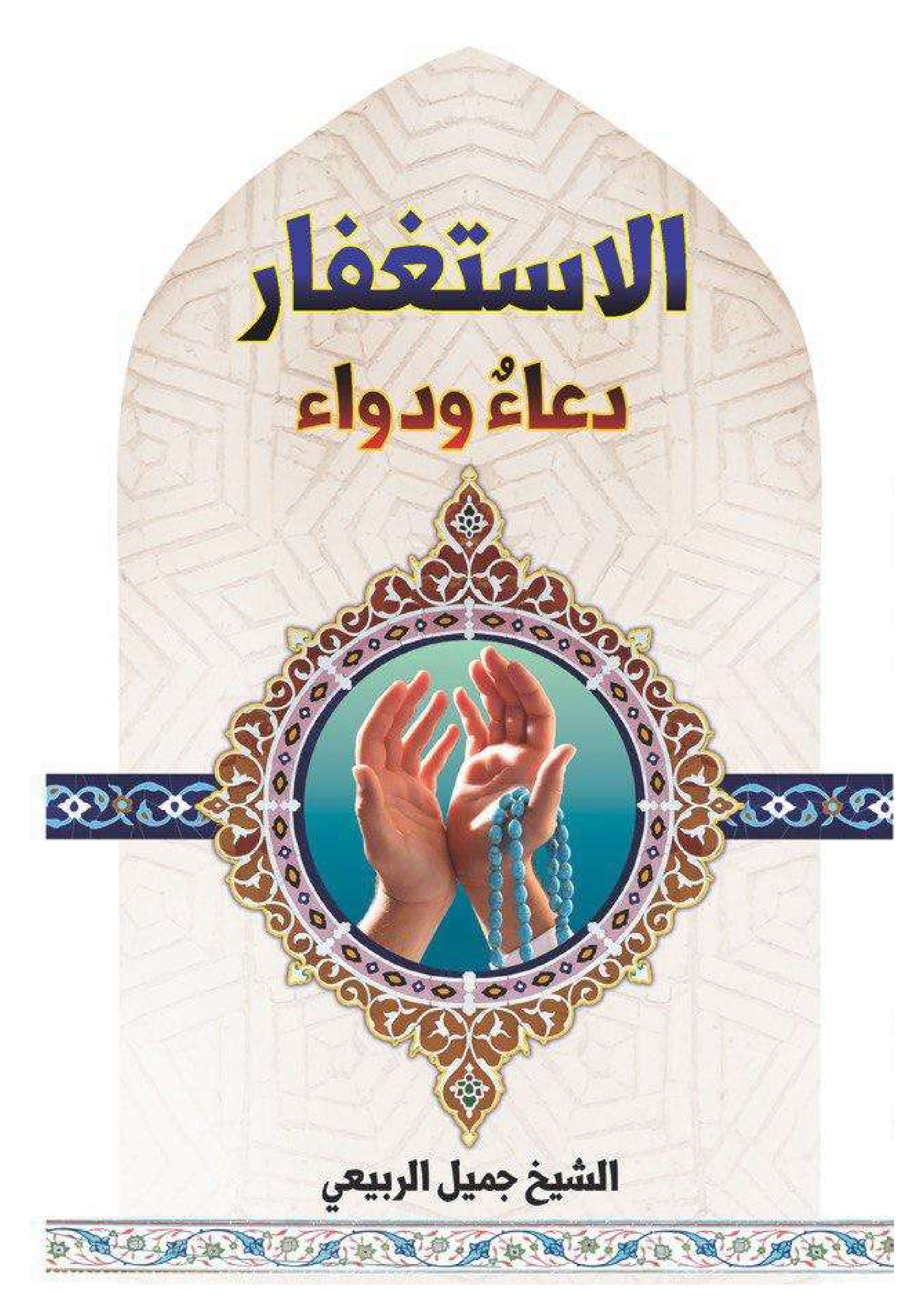

الاستغفار
دعاءٌ ودواء
الشيخ جميل الربيعي

الاسْتِغْفَارُ
دُعَاءٌ وَدَوَاءٌ


بسم الله الرحمن الرحيم

الاسْتِغْفارُ
دُعاءٌ وَدَواءٌ

الشَّيخُ جَميل الرُّبَيْعيّ

هويّة الكتاب

الاسم...الاستغفار دعاء ودواء

المؤلّف...الشّيخ جميل الرّبيعيّ

النّاشر...مكتبة الأبرار- النّجف الأشرف

الطّبعة...الأولى

التّاريخ...١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾

(هود: ٣)

الْمُقَدِّمة:

الإنسان في سيره التّكامليّ وكدحه إلى الله تعالى لا بدَّ من أن يواجه عقبات كأداء تعيقه عن مواصلة السَّير لبلوغ الغاية العظمى، وهي معرفة الله تعالى وعبادته، فعقبة الأهواء والشّهوات وتسويل النّفس، والغفلة عن ذكر الله، ونسيان الذّنوب والمعاصي، والانجذاب إلى زخارف الدّنيا وزينتها، والإغراءات المادّيّة والمعنويّة الَّتي تستهوي الإنسان إليها، وما يضعه شياطين الجنّ والإنس من معوّقات في طريق المؤمنين؛ لأجل صدّهم عن معرفة الله وعبادته.

كلّ تلك العقبات والعوائق تترك آثاراً سلبيّةً في نفس الإنسان؛ ولذا ترى أعمق النّاس إيماناً، وأغزرهم علماً، وأزكاهم نفساً، وأخلصهم عملاً يعانون من هذه العقبات، فيشكون أمرهم إلى الله من شدّة المعاناة في مقاومة تسويلات النَّفس، وضعف مقاومة الأهواء والشَّهوات والغرائز الحيوانيّة مع ما أعطاهم الله من قوى معنويّة علميّة وعمليّة، وما منحهم من تعالٍ على زخارف الحياة الدّنيويّة، وما زوّدهم الله به من قوّة في إراداتهم، ووضوح في رؤياهم، وعمق في معرفتهم، ومع كلّ ذلك يشكون إلى الله تعالى ما يعانونه من النّفس الأمّارة بالسّوء كما في مناجاة الشّاكين.

ومع عمق معارفهم ووعيهم لإرادة الله تعالى وأحكامه، فهم مع ذلك كلّه يستمدّون العون من الله طالبين رحمته شاكين ما يعانونه من إلحاح النَّفس الأمّارة بالسّوء، مع زهدهم بجميع المغريات وتعاليهم على زخارف الدّنيا وزينتها.

ولأجل بيان خطورة تلك الأهواء والشّهوات على السّائر في طريق ذات الشّوكة الكادح إلى الله تعالى نسمع تلك الآهات السّاخنة تصدر من الإمام السّجّاد عليه السلام في مناجاة الشّاكين وغيرها من أدعيته المباركة الَّتي تنبعث بتلك الحرارة من أعماق قلبه، فتجري على لسانه في محراب عبادته ليصعد إيمانه إلى أقصى درجات الكمال لشعوره بتقصيره[١] في عبادة الله تعالى؛ لأنَّه يعلم أنَّ الله لا يمكن أن يعبد حقّ عبادته[٢]، وليوضّح فيها مسارب النَّفس الأمّارة بالسّوء في إضلال الإنسان، هذه الأساليب الَّتي وضحها عليه السلام في بيان سمات النَّفس، فهي أمّارة بالسوء، مبادرة إلى

---

(١) ولذلك يقول: «**يا إلهي، لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتّى تَسْقُطَ أَشْفارُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتّى يَنْقَطِعَ صَوْتي، وقُمْتُ لَكَ حَتّى تَتَنَشَّرَ قَدَماي، وركَعْتُ لَكَ حَتّى يَنْخَلِعَ صُلْبي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتّى تَتفقَّأَ حَدَقَتاي، وأَكَلْتُ تُرابَ الأَرْضِ طولَ عُمْري، وشَرِبْتُ ماءَ الرَّماد آخرَ دَهْري، وذَكَرْتُكَ في خلال ذلكَ حَتّى يَكِلَّ لساني، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفي إلى آفاق السَّماء اسْتِحْياءً مِنْكَ... ما اسْتَوْجَبْتُ بِذلكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ واحدةٍ مِنْ سَيِّئاتي**» الصَّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٧٠، دعاء: ١٦.

(٢) إشارة الى الحديث المشهور عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ، وَما عَرَفْناكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**»، بحار الأنوار: ٢٣/٧١.

الخطيئة، مولعة بالمعاصي، متعرّضة لكلّ ما يسخط الله تعالى، سالكة طريق الهلاك حتّى تصل بالإنسان المنقاد إليها الخاضع لإرادتها أن تجعله أهون الهالكين، وذلك لطول أملها، وغفلتها عن ذكر الله، وسهوها عن الامتثال لأمر الله، وتسويلها لإيقاعه في شباك الشَّيطان، تلك هي بعض العقبات الَّتي تواجه الإنسان، فتوقعه في كثير من الأحيان بالمخالفات الشّرعيّة وارتكاب المعاصي والذّنوب الّتي تؤثّر عليه تأثيراً سلبيّاً، فتغطّي القلوب بأدرانها، وتلوّث النفوس؛ لتطمر فطرتها الّتي فطرها الله عليها، وحينئذ تختلّ الموازين، وتنقلب المقاييس، والعياذ بالله تعالى.

تلك هي مصيبة بني آدم على طول خطّ التّأريخ على مختلف الصّعد الفرديّة والاجتماعيّة بل الدّوليّة، فما من كارثة حلَّت بالإنسانيّة إلا وكانت نتاج الانجرار وراء الأهواء النّفسيّة الّتي هي منبع جميع الكوارث الَّتي حلّت بالبشريّة جمعاء.

وبما أنَّ الله تعالى خالق النّفس، عالم بكلّ ما أودع فيها من القوى، وعالم بما يمرضها فنهى عنه، وما يشفيها فأمر به، كذلك عالم بما يهلكها وما ينجيها وما يضلّها، وما يهديها؛ لذلك وضع تعالى للإنسانيّة مناهجه السّامية في الوقت الّذي أودع في الإنسان قوّة الاختبار والتّمييز بين الصّلاح والفساد، والخير والشّرّ، والهدى والضّلال، والحقّ والباطل...

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[١].

فالاستغفار صمّام أمان من جميع الكوارث والمصائب الَّتي يقع فيها الإنسان حين يحيد عن جادّة الصَّواب، وهذا ما سيجده القارئ الكريم في طيّات هذا البحث المتواضع؛ فقد وضَّحت فيه مفهوم الاستغفار، وأهمّيّته، ودوره في عودة الإنسان إلى سبيل الرشاد الإلهيّ، وتضمّن أنواع الاستغفار، وأشرت باختصار إلى أوقات الاستغفار وآدابه وصيغه الواردة عن النّبي وآله صلوات الله عليه وعليهم أجمعين راجياً من الله القبول، وأن ينفع الله به السّائرين في خطّ التّكامل الإنسانيّ ضمن المناهج الإلهيّة، وأسأله تعالى أن يجعله لي ذخراً ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾[٢].

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) الشّعراء: ٨٨-٨٩.

مَعْنى الاسْتِغْفارِ:

الاستغفار لغةً: طلب المغفرة بالقول والفعل، يقال: استغفرتُ الله، أي سألتُه المغفرة من الذّنوب والمعاصي.

وأصل كلمة الغَفر هو التّغطية والسّتر، وكلُّ شيء سترته فقد غفرته، ولذلك قالت العرب: «اصبغ ثوبك بالسّواد، فهو أغفر لوسخه، أي أَحمَل له وأغطى له»[1].

وقال الرّاغب الأصفهانيّ: «الغَفْرُ إلباس ما يصونه عن الدّنس... والمغفرة من الله هو أن يصونَ العبدَ من أن يمسّه العذاب... والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفِعال، وقولُه: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾[2] لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللّسان فقط، بل باللّسان وبالفِعال»[3].

والمعنى اللّغويّ هذا لا يختلف عن المعنى الاصطلاحيّ، فالمستغفر الله تعالى بلسانه أو قلبه أو فعله هو طالب من الله أن يغفر له ذنوبه ومعاصيه، ويعفو عنه، ويرفع عنه عقاب ما وقع فيه من المخالفات،

---

(١) لسان العرب: ٢٥/٥، (غفر).

(٢) نوح: ١٠.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٠٠، (غفر).

ويستر عليه، ولا يفضحه على رؤوس الأشهاد: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[١].

فالمغفرة إذن تعني تطهير الإنسان من كلّ سيّئاته؛ ليصان من كلّ ما يعرّضه للعذاب، وهي من أعظم الأفضال الإلهيّة على العبد؛ ولذا نجد المؤمنين التّائبين في أحرج المواقف وأشدّها، يقولون مُتَحَدّين فرعون: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾[٢].

وهذا خليل الرَّحمن إبراهيم عليه السلام رغم علوّ شأنه، وجلالة قدره، وشدّة عبادته، وتفانيه لله، وفي الله، وفي سبيل الله يقول بلسان الخاشع المتذلّل لله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[٣].

والمغفرة هي أمنية كلّ الصّالحين، ومن هنا نجد أنَّ الله عزَّ وجلّ يمدح الطّامعين بمغفرته حيث يقول في وصف الرّبّيين الَّذين تحدّوا الفرعون وهو يتوعّدهم بتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، والصَّلب في جذوع النخل[٤]، وهم يعلمون أنَّ هذا الطّاغية يفعل ما يقول: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

(١) آل عمران: ١٩٤.

(٢) طه: ٧٣.

(٣) الشّعراء: ٨٢.

(٤) انظر الآيات الكريمة في: الأعراف: ١٢٤، طه: ٧١، الشّعراء: ٤٩.

﴿ وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[(١)].

ولبيان عظمة المغفرة الإلهيّة، وأهمّيّة دورها في مستقبل الإنسان في الدُّنيا والآخرة يأمر الله نبيّه الكريم ﷺ أن يخبر العباد عنها، يقول عز وجلّ: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾[(٢)]، فهنا ترابط بين الرحمة والمغفرة، هذا التّرابط ينبئ أنَّ الرَّحمة الإلهية لا تنال العبد قبل أن تناله مغفرة الله تعالى، وهنا قد «جمع سبحانه في هاتين الآيتين بين التَّبشير والتَّحذير كي لا ييأس العاصي من رحمة الله ومغفرته، بل يرجع إليه تعالى ويتوب، وكي يحذر المطيع من الزَّلل وفساد العمل، فيحتاط ويتواضع، ولا يتملّكه العجب والغرور»[(٣)].

وقال الفخر الرّازيّ: «إنَّه لمّا ذكر الرّحمة والمغفرة بالغ في التّأكيد بألفاظ ثلاثة: قوله ﴿ أَنِّيٓ ﴾، وثانيها قوله: ﴿ أَنَا ﴾، وثالثها إدخال حرف الألف واللام على قوله ﴿ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، ولمّا ذكر العذاب لم يقل: إنّي أنا المعذب، وما وصف نفسه بذلك، بل قال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾»[(٤)].

---

(١) آل عمران: ١٤٧.

(٢) الحجر: ٤٩-٥٠.

(٣) التّفسير الكاشف: ٤/٤٨٠.

(٤) التّفسير الكبير: ١٩/١٩٥.

ولهذا كان الإمام سيّد السّاجدين عليه السلام إذا تلا هذه الآية الكريمة رفع يديه متضرّعاً إلى الله وداعياً: «**صَدَقْتَ وبررْتَ يا سيِّدي، لا يَردُّ غَضَبَكَ إلا حِلْمُكَ، وَلا يُجيرُ منْ عقابكَ إلا رَحْمَتَكَ، وَلا يُنْجي منْكَ إلا التَّضَرُّعُ إلَيْك، فَها أَنا ذا بَيْنَ يدَيْكَ: ذَليلٌ، صاغرٌ، راغمٌ داحضٌ، فَإنْ تَعْفُ عَنّي فَقَديماً شَمَلَتْني رَحْمَتُكَ، وأَلْبَسْتَني عافِيَتَكَ، وإنْ تُعَذِّبْني فَأَنا لذلكَ أَهْلٌ، وَهُوَ مِنْكَ عَدْلٌ**»[1].

لِماذا الاسْتِغْفارُ؟

النّفس الإنسانيّة خزين من الميول والأهواء والرّغبات والغرائز والشَّهوات والأمزجة والعواطف والأفكار المختلفة، فضلاً عمّا تتعرّض له من أمراض قلبيّة كالحسد، والتّكبّر، والغرور، والعجب، والجشع، والهلع، والطمع... الخ، وما إلى ذلك، والنَّتيجة لا بد من أن تقع من خلال سيرها في المجتمع في مخالفات شرعيّة، أو أخلاقيّة، ولا شكَّ أنَّ هذه المخالفات لها تأثيرات سلبيّة فاعلة تعيق سيرها التكاملي إلى الله تعالى؛ ولذلك وضع لها الشّارع المقدّس علاجات نظرية وعمليّة؛ لِتُقَوّم بها مسيرتها بنفسها، يقول تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[2].

---

(١) الصّحيفة السّجّاديّة الجامعة: ٤٨٨-٤٨٩، مناجاة: ٢٠٥.

(٢) النّساء: ١١٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(١)].

وهكذا يتّضح لنا أنَّ الله تعالى سنَّ لعباده مناهج عمليّة لِتَقْويم سيرتهم، وتربية أنفسهم وتزكيتها من أدران الذُّنوب لحفظها من الانحراف والسّقوط في شباك الشَّيطان، وتسويلات النّفس، واتّباع الهوى، وفي مقدّمة هذه المناهج الاستغفار الَّذي إذا فعله المرء بوعي، وصدق، وإخلاص حَمى مسيرته من الانحراف، ونفسه من السّقوط في بؤرة الأمراض الرّوحيّة والفكريّة والأخلاقيّة، وهذا ما أشار إليه الحديث الشَّريف في قوله ﷺ: «**أَلا أَدلُّكُمْ عَلى دائِكُم ودَوائِكُم؟ أَلا إِنَّ داءَكُمُ الذُّنوبُ، ودواءَكُمُ الاسْتِغْفارُ**»[(٢)].

وعنه ﷺ أنَّه قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ دَواءٌ، ودَواءُ الذُّنوبِ الاسْتِغْفارُ**»[(٣)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ الْعَبْدَ بَيْنَ نِعْمَةٍ وَذَنْبٍ لا يُصْلِحُهما إِلا الاسْتِغْفارُ والشُّكْرُ**»[(٤)].

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) الجامع لشعب الإيمان: ٣٤٨/٩، ح/٦٧٤٦.

(٣) الكافي: ٢٣٩/٤، ح/٢٩٨١.

(٤) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٥، ح/٣٨٢٦.

وبهذا نعرف لماذا هذا التَّأكيد في هذا الكمّ الكثير من الآيات الكريمة والرّوايات والأحاديث الشَّريفة على أهمّيّة الاستغفار، والحثّ على مواصلته في أوقات كثيرة.

حَقيقَةُ الاسْتِغْفارِ:

ممّا لا شكَّ ولا ريب فيه أنَّ الاستغفار ليس مجرّد ألفاظ يردّدها اللّسان ويحتويها الجنان، وإنّما هو فكرة تتولّد في عقل الإنسان وقلبه نتيجة وعي معرفي لحقيقة النَّفس الإنسانيّة، وما تنطوي فيها من أسرار إلهيّة، وما تمرّ فيه من أخطار في سيرها وكدحها إلى الله تعالى.

وفي امتداد هذا الوعي المعرفيّ للنَّفس هناك الوعي الفكريّ العقائديّ القائم على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر.. أمّا الوعي النّفسي فإنَّ الإنسان العاقل الرّشيد الّذي يعي سرّ وجوده وعلّة إيجاده لا بد من أن يعرف نفسه، وأنَّه ليس حفنة تراب، وإنّما هو نفخة من روح إلهيّة تحمل كلّ أسرار الوجود الإنساني في بعديه المادّيّ والمعنويّ، وهذا الوعي هو الّذي يجعل الإنسان يشعر بمسؤوليّته أمام الله تعالى، وأنَّه لم يُخلق عبثاً، ولم يترك سدى، وأنَّه سائر من هذا العالم الفاني إلى عالم الخلود والبقاء، وبناءً على هذا التّصوّر فإنَّه سيجعل الله تعالى له من نفسه على نفسه رقيباً وحسيباً على كلّ أفكاره وأقواله وأعماله بل بما توسوس به نفسه، وما يتوارد عليها من خواطر، وآراء، ومفاهيم...

ولأهمّيّة هذا الأمر في مستقبل الإنسان جاءت كثير من الأحاديث

الشَّريفة، نذكر منها مقدار حاجتنا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا أَرادَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ بعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ لَهُ واعظاً مِنْ نَفْسه يَأْمُرُهُ وَيَنْهاهُ**»(١).

وفي حديث آخر: «**إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً، جَعَلَ لَهُ واعظاً مِنْ نَفْسه، وَزاجراً مِنْ قَلْبه، يَأْمُرُهُ وَيَنْهاهُ**»(٢).

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**وَمَنْ كانَ لَهُ في نَفْسه واعظٌ كانَ عَلَيْه مِنَ الله حافظٌ**»(٣).

وعنه عليه السلام: «**مَنْ كانَ لَهُ مِنْ نَفْسه يَقَظَةٌ كانَ عَلَيْه مِنَ الله حَفَظَةٌ**»(٤).

وعنه عليه السلام: «**وَاعْلَموا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلى نَفْسه حَتّى يَكونَ لَهُ مِنْها واعظٌ وَزاجرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِها لا زاجرٌ وَلا واعظٌ**»(٥).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ مِنْ نَفْسه واعظاً، فَإِنَّ مَواعظَ النّاسِ لَنْ تُغْني عَنْهُ شَيْئاً**»(٦).

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر: ٢/٢٧٠، ح/٢٠٣٩.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٠/٩٩.

(٣) نهج البلاغة: ٤٩٩، قصار الحكم: ٨٤.

(٤) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٥، ح/٤٧٢٥.

(٥) نهج البلاغة: ١٤٧، خطبة: ٨٩.

(٦) تحف العقول: ٢٩٤.

وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ واعظٌ منْ قَلْبه، وَزاجرٌ مِنْ نَفْسه، ولَمْ يَكُنْ لَهُ قَرينٌ مُرْشدٌ، اسْتَمْكَنَ عَدُوُّهُ مِنْ عُنُقه**»(١).

وإذا وفّق الله تعالى المؤمن لذلك كان له من نفسه لنفسه واعظ، وحينئذ يصبح له راصد من نفسه لما يتوارد على ذهنه من أفكار ورؤى وتصوّرات، وما ينبعث منها من مبادرات، وإرادات، وميول، ورغبات، فيضعها في ميزان محكمة العقل والشّرع؛ ليُميّز ما يتوافق مع الحقّ والعدل والخير والجمال والصَّلاح، وما يخالف ذلك؛ وليقف على ما يصلح نفسه، وما يقوّمها، ويحفظ مسيرتها من الانحراف والسّقوط.

وبهذا البيان يتبيّن أنَّ الاستغفار حركة فكريّة داخل الكيان الإنسانيّ العقليّ والقلبيّ الفكريّ والعاطفيّ؛ لترصد ما في نفسه من نواقص، وما يحيط بها من أخطار، وما يلازمها من إرادات، وما يلزمها من تخطيط لإكمال تلك النَّواقص، والتَّحامي من الأخطار، وما تستوجبه من لوازم لتوجيه الإرادات لما يصلح شأن الإنسان.

وأمّا كونه وعياً فكريّاً، فإنَّ المؤمن في سيره وكدحه إلى الله تعالى لا بد من أن يستحضر رقابته تعالى، ويشعر بهيمنته على كلّ كيانه النّفسيّ والبدنيّ، وهذا الشُّعور يجعله يشعر بتقصيره وقصوره وتصاغره أمام عظمة الله تعالى وجبروته مهما بذل من جهد وجهاد وإخلاص في سبيله

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه: ٤٠٢/٤، ح/٥٨٦٦.

تعالى، ولعلَّ هذا هو سرّ كثرة استغفار الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم مع عصمتهم وطهارتهم ومنتهى تجرّدهم وإخلاصهم، بل تفانيهم في عبادة الله تعالى، ورغم ذلك كلّه لا يشعرون بأنَّهم قدّموا شيئاً أو أنّهم شيءٌ مذكورٌ في قبال عظمة الله؛ وذلك «أنَّ الأنبياء لمّا كانت قلوبهم مستغرقة بذكر الله، ومشغولة بوجه الله، ومتعلّقة بجلال الله، ومتوجّهة إلى كمال الله، وكانت أتمَّ القلوب صفاءً، وأكثرها ضياءً، وأغرقها عرفاناً وإذعاناً، وأكملها أيقاناً، كانوا إذا انحطّوا عن تلك المرتبة العليّة، ونزلوا عن تلك الدَّرجة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل، والمشرب، والتّناكح، والصّحبة مع بنى نوعهم وغير ذلك من المباحات أسرعت كدورةٌ ما إليها لكمال رقّتها، وفرط نورانيّتها، فإنَّ الشَّيء كلما كان أرق وأنظر كان تأثّره بالكدورات أبين وأظهر، فعدّوا ذلك ذنباً وخطيئة فتابوا، واستغفروا منه، وكما رُوِيَ: «حسنات الأبرار سيّئات المقربين»، وإليه يشير قوله ﷺ: «**لَيُرانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنّي أَسْتَغْفِرُ بِالنَّهارِ سَبْعينَ مَرَّةً**»، وقيل أراد به تعليم النّاس»[1].

ولهذا نجد أكمل الخلق معرفةً، وأعظمهم عبادةً وإخلاصاً وتفانياً، يقول في مناجاته: «**ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ، وَما عَرَفْناكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**»[2].

(١) المولى محمّد صالح المازندرانيّ، شرح أصول الكافي: ١٠/١٧٥-١٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧١/٢٣.

ولئن انكشف هذا للكُمَّل من البشر، فإنَّ المستهترين[1] بذكر الله «يَقولونَ إذا نَظَروا إلى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلى أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ: سُبْحانَكَ ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ»[2].

وهكذا يتّضح أنَّ الاستغفار ينبعث من أعماق المؤمن بالله واليوم الآخر نتيجة تفكير إيماني رصين لحقيقة توحيد الله تعالى، ووعي لما في النّفس من طاقات، وما يواجهها من مخاطر في سيرها إلى الله تعالى، وما ستلاقيه من عقبات كأداء في مستقبلها الأخرويّ الَّذي يصوّره رسول الله ﷺ بقوله: «وَاعْلَموا أَنَّ أَمامَكُمْ طَريقاً مَهولاً، وَسَفَراً بَعيداً، وَمَمَرَّكُمْ عَلَى الصِّراطِ، وَلا بُدَّ لِلْمُسافِرِ مِنْ زادٍ، فَمَنْ لَمْ يَتَزَوَّدْ وَسافَرَ عَطِبَ وَهَلَكَ، وَخَيْرُ الزّادِ التَّقْوى»[3].

---

(١) «المستهتر: بفتح العين المولع بالشّيء لا يتحدّث بغيره، ولا يفعل غيره، وفي الحديث سبق المفرّدون، قالوا: وما المفرّدون؟ قال: المستهترون بذكر الله؛ وقد اسْتُهْتِرَ بكذا على ما لم يسمّ فاعله، وفي نسخة ضبطه بكسر العين، ولم ينصّ عليه أهل اللغة واشتقاقه من الهَتْر بالفتح، وهو مزق العرض والشّتم؛ لأنّ المولع بالشَّيء لا يبالي بما قيل فيه وشُتم له، أو من الهُتر بالضمّ وهو ذهاب العقل من مرض أو حزن»، رياض السّالكين: ٣٩/٢.
وقال الزّمخشريّ: «استُهْتِر فلان، إذا ذهب عقله بالشَّيء، وانصرفت همّته إليه، حتّى أكثر القول فيه وأولِعَ به»، الفائق في غريب الحديث: ٩١/٤.

(٢) الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٢٨، دعاء: ٣.

(٣) الشّيخ الصّدوق، الأمالي: ٢٠٧؛ وترتيب الأمالي: ٢٣٦/٤، ح/١٨٢١.

وهكذا يتجلّى لنا أنَّ «الاستغفار هو درجة العلّيين[١] وسبيل المقرّبين، وهو من أعظم القربات، ولا يجب أن يكون لمعصية أو ذنب، فإنَّ السّالك إلى الله سبحانه الطّالب لمقام القرب مهما جدَّ واجتهد في السَّير يرى نفسه بطيئاً لا تأتي بما يجب عليه من الاجتهاد في العمل؛ ولذلك يستغفر ربَّه عزَّ وجلَّ، ويطلب العفو منه دائماً»[٢].

وأدقّ بيان لحقيقة الاستغفار ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله حين سمع قائلاً، يقول بحضرته: «أستغفر الله»، فقال عليه السلام: **«ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي ما الاسْتِغْفارُ؟ إِنَّ الاسْتِغْفارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ واقِعٌ عَلى سِتَّةِ مَعانٍ، أَوَّلُها النَّدَمُ عَلى ما مَضى، وَالثّانِي الْعَزْمُ عَلى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَالثّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلى الْمَخْلوقينَ حُقوقَهُمْ حَتّى تَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلى كُلِّ فَريضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَها فَتُؤَدِّيَ حَقَّها، وَالْخامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلى اللَّحْمِ الَّذي نَبَتَ عَلى السُّحْتِ فَتُذيبَهُ بِالأَحْزانِ، حَتّى يَلْصَقَ**

---

(١) «(العَلّيين) - بفتح العين - جمع «عَليّ»، وهو كثير العلوّ، فيكون على تقدير حذف مضاف، أي أنَّ درجة الاستغفار درجة العلّيين، أو (عِلّيين) جمع عليّ - بكسر العين، وتشديد اللام - وهو أعلى درجات الجنّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾، فيكون على تقدير حذف مضاف أي أنَّ درجة الاستغفار درجة العلّيين»؛ مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢٩٥/٤ (الهامش).

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه: ٣٢٧/١، (الهامش).

الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُما لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطّاعَةِ كَما أَذَقْتَهُ حَلاوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ»(١).

فالاستغفار إذن يحصل للمؤمن نتيجة حركة فكريّة في أعماق نفسه تستقطب عليه جميع كيانه ووجوده، فتولّد ندماً على ما مضى من أعماله، ومن هذا النّدم تنبعث إرادة لتغيير الواقع النَّفسيّ، فينطلق من أعماق الذّات عزم وتصميم وإرادة لتغيير واقعه النَّفسيّ والعمليّ وتغييرهما، ويندفع خارج نفسه ليتواصل مع الناس؛ ليصلح ما أفسده بتقصيره في أداء حقوقهم، ثمّ يعمد إلى الفرائض الَّتي ضيعها فيؤدّيها، ويبذل غاية جهده وطاقته النَّفسيّة والبدنيّة لمراجعة قصوره في حقوق الله وحقوق النّاس؛ لجبرها وسد ما قصَّر فيها حتّى يذيب ما اكتنزه في بدنه بما يبذله من جهد؛ لترسيخ روح الطّاعة في نفسه، حتّى تصبح طبعاً وعادةً وسلوكاً، وبذلك يصبح «الاستغفار من جنود العقل وأعوانه في العود إلى الحقّ والقرب منه»(٢).

هذه هي حقيقة الاستغفار فهو ليس كلمات تقال وحسب، وإنّما فكر يحرّك، وعقيدة تحكم، وإرادة تُصلح وتُغيّر، وعمل يتجسّد، يستمد العبد فيه العون من الله تعالى؛ ليزكّي نفسه ممّا علَق فيها من أدران

---

(١) نهج البلاغة: ٥٥٥، قصار الحكم: ٤٠٥.

(٢) المولى المازندرانيّ، شرح أصول الكافي: ٢٧٩/١.

الذُّنوب، وسيِّئات الأخلاق وقبيح العادات.

مِنْ عَطاءاتِ الاسْتِغْفارِ:

في أداء جميع الفرائض الإسلاميّة سواء كانت عباديّة أو معاملاتية عطاءات وهبات وفيوضات إلهيّة إيجابيّة، تتكامل فيها شخصية الإنسان، فلم يكلّف الله عباده بفريضة من فرائضه إلا ولها منافع كثيرة ماديّة أو معنويّة؛ لتهذيب النَّفس الإنسانية وتطهيرها من أدران الذّنوب، وسيّئات الأخلاق؛ ولبنائها بناءً روحيّاً وفكريّاً وأخلاقيّاً، فجميع الأحكام على مختلف شؤونها شُرّعت لإصلاح الإنسان وصلاحه وسعادته في الدّنيا والآخرة، وليس لله غرضٌ أو حاجةٌ سوى تكميل عباده وترقيتهم بالعلم، والإيمان، والعمل؛ لأنَّ الله غنيٌّ عن عبادة عباده، وهم الفقراء إليه؛ ولذا خاطب الله النّاس جميعاً بهذه الحقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة بقوله: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالى خَلَقَ الْخَلْقَ حينَ خَلَقَهُمْ، غَنِيّاً عَنْ طاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لأَنَّه لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصاهُ، وَلا تَنْفَعُهُ طاعَةُ مَنْ أَطاعَهُ**»[2].

---

(١) فاطر: ١٥.

(٢) نهج البلاغة: ٣٣٢، خطبة: ١٩٣.

ولبيان مقاصد الشّريعة في تشريع الفرائض جميعاً جاء خطاب السّيّدة الزَّهراء عليها السلام صريحاً واضحاً لا لُبس فيه في أحرج المواقف، وأشدّها قائلة:

«فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ: تَطْهيراً لَكُمْ منْ الشِّرْك، وَالصَّلاةَ: تَنْزيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكاةَ: تَزْكيَةً للنَّفْسِ، ونَماءً في الرِّزْق، وَالصِّيامَ: تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، وَالْحَجَّ: تَشييداً للدِّين، وَالْعَدْلَ: تَنْسيقاً لِلْقُلوب، وَطاعَتَنا: نظاماً لِلْمِلَّة، وإمامَتَنا: أَماناً لِلْفُرْقَة، وَالْجِهادَ: عِزّاً لِلإِسْلام، وَالصَّبْرَ: مَعونَةً عَلَى اسْتيجاب الأَجْر، وَالأَمْرَ بالْمَعْروف: مَصْلَحَةً لِلْعامَّة، وَبِرَّ الْوالدَيْن: وِقايَةً منَ السَّخْط، وَصلَةَ الأَرْحام: مَنْسَأَةً في الْعُمْرِ، وَمَنْماةً لِلْعَدَد، وَالْقِصاصَ: حَقْناً للدِّماء، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْر: تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَة، وَتَوْفيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازين: تَغْييراً لِلْبَخْس، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْر: تَنْزيهاً عَنِ الرِّجْس، وَاجْتِنابَ الْقَذْف: حِجاباً عَنِ اللَّعْنَة، وَتَرْكَ السَّرِقَة: إِيجاباً لِلْعِفَّة، وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخْلاصاً لَهُ بِالرُّبوبيَّة»[1].

وإذا تأمَّلنا جَيِّداً في هذا الخطاب لا نجد أوجز، ولا أبلغ، ولا أجزل عبارة، وأعمق معنى، وأوضح مقصداً من هذا البيان الشَّريف الَّذي اتَّضح فيه أنَّ الإسلام عقيدةً وشريعةً جاءت مقاصده وأهدافه لبناء الإنسان الكامل، وترشيد مسيرته، ووضعه على الجادّة الوسطى.

---

(١) الاحتجاج: ١/١١٤.

والاستغفار مفردة من مفردات المنهج الإلهيّ الّتي وضعها الله تعالى في الكتاب والسّنّة؛ ولذا إذا تتبّعنا الآيات الكريمة والأحاديث الشّريفة نجد كثيراً من العطاءات الإيجابيّة للمستغفرين، نذكر منها:

١- الاستغفار أفضل وسيلة لغفران الذّنوب والمعاصي؛ لتطهير النُّفوس وتزكيتها؛ فإنَّ الله بفضله ومنّه على عباده ترك لهم باب الرّجوع إليه بالتّوبة مفتوحاً، وممّا يؤكّد ذلك ما جاء في مناجاة التّائبين لسيّد السّاجدين عليه السلام: «**إلهي، أَنْتَ الَّذي فَتَحْتَ لعبادكَ باباً إلى عَفْوكَ سَمَّيْتَه التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[1] فما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخولَ الْباب بَعْدَ فَتْحه؟**»[2].

ومفتاح هذا الدّخول هو الاستغفار، فقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ تعالى يَغْفرُ للْمُذْنبينَ، إلا مَنْ لا يريدُ أَنْ يغْفَرَ لَهُ**»، قالوا: «يا رسول الله، من الّذي يريد أن لا يُغفر له!؟»، قال: «**مَنْ لا يَسْتَغْفرُ**»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**الاسْتغْفارُ أَعْظَمُ جَزاءً (أَجْراً)، وأَسْرَعُ مَثوبَةً**».

«**أَفْضَلُ التَّوَسُّلِ الاسْتغْفارُ**».

---

(١) التّحريم: ٨

(٢) الصَّحيفة السّجّاديّة الجامعة: ٤٠٢، مناجاة: ١٨٢.

(٣) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١٢٢/١٢، ح/١٣٦٨٥.

«حُسْنُ الاسْتِغْفار يُمَحِّصُ الذُّنوبَ».

«لا شَفيعَ أَنْجَحُ مِنَ الاسْتِغْفار»[(١)].

٢- الاستغفار أمانٌ من عذاب الله تعالى: ما دام قلب العبد متعلّقاً بالله تعالى، ولسانه رطباً بذكره، وجوارحه متحرّكة استجابة لأمره تعالى، فلا شكَّ ولا ريب بأنَّه سيكون في عين الله وحفظه في درعه الحصينة، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمانَيْنِ لأُمَّتي: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[(٢)]، فَإِذا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فيهِمُ الاسْتِغْفارَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[(٣)].

كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كانَ في الأَرْضِ أَمانَان مِنْ عَذابِ اللهِ سُبْحانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُما، فَدونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكوا بِهِ: أَمّا الأَمانُ الَّذي رُفِعَ فَهُوَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَأَمّا الأَمانُ الْباقي فَالاسْتِغْفارُ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾»، قال الشّريف الرّضيّ: «وهذا من محاسن الاستخراج، ولطائف الاستنباط»[(٤)].

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٥، ح/٣٨٢٣-٣٨٢٥-٣٨٢٧-٣٨٣٣.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) الجامع الكبير (سنن التّرمذيّ): ٣١٦/٥-٣١٧، ح/٣٣٣٦.

(٤) نهج البلاغة: ٤٩٩، قصار الحكم: ٨٣.

قال شارح النّهج ابن ميثم البحرانيّ: «كون وجود الرّسول ﷺ بين الأُمّة ورجوعه إلى الله في رحمة أُمّته، وكون الاستغفار بإخلاص معدَّين لنزول رحمة الله، ورفع عذابه ممّا يشهد به البحث العقليّ، وقد أكّد ذلك بصادق الشّاهد السّمعيّ كما استخرجه عليه السلام»[1].

٣- الاستغفار وسيلة لدفع البلايا والمشاكل: الابتلاء سنّة من سنن الحياة لا يسلم منها صالح ولا طالح ولا صغير ولا كبير، يقول تعالى:

﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا**﴾[2].

﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[3].

﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٨٤/٥.

(٢) الإنسان: ٢.

(٣) الأنعام: ١٦٥.

(٤) هود: ٧.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١].

فهذه الآيات جميعاً تؤكّد «أنَّ سُنّةَ الابتلاء والامتحان سُنّةٌ جاريةٌ لا مناصَّ عنها في كافر ولا مؤمن، فالله سبحانه مبتليهما؛ ليخرج ما في باطن كلّ منهما إلى ساحة الظّهور، فيتمحّض الكافر للنّار، ويتميّز الخبيث من الطّيّب في المؤمن»[٢].

ولا شكَّ أنّ للإنسان طاقات مادّيّة جسديّة محدودة لا تستطيع أن تتحمّل كلّ ما يواجهها من عقبات الحياة؛ ولذلك لا بد من أن يدعمها بالقوّة المعنويّة الّتي يستمدّها من ربّ العزّة والجلال.

والاستغفار واحد من وسائل الارتباط الأساسية بالله تعالى، بها يستمدّ الإنسان القوّة من الله بمواصلتها الواعية المنبعثة عن روح إيمانيّة صادقة مخلصة، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ادْفَعوا أَبْوابَ الْبَلايا بِالاسْتِغْفارِ»**[٣].

ولهذا لا يمكن للمؤمن القويّ الإيمان مهما اشتدّت عليه المحن والفتن أن يقنط أو ييأس وهو يستمدّ العون من الله بمواصلة الاستغفار، من هنا يتعجّب أمير المؤمنين عليه السلام: **«عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ**

---

(١) الملك: ٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٤/٧٨.

(٣) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ٥/٣١٨، ح/٥٩٨٠.

الاسْتغْفارُ»[1].

وفي رواية أخرى له عليه السلام: «**عَجِبْتُ لمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ النَّجاةُ وَهوَ الاسْتغْفارُ**»[2].

وفي رواية أخرى: «**عَجَباً لمَنْ يهْلكُ ومَعَهُ النَّجاةُ، قيلَ لَهُ: ومَا هِيَ؟ قالَ: التَّوْبَةُ وَالاسْتغْفارُ**»[3].

٤- بالاستغفار يفرّج الله الهموم: هموم الدّنيا والآخرة متواصلة على الإنسان ما دام الإنسان يعيش في هذه الدّنيا المتقلّبة بأهلها، المتصارعين عليها في كلّ جوانبها، ولذلك لا يمكن لأيّ إنسان مهما كان ومن كان أن يكون دائماً في مأمن من هموم الدُّنيا أبداً، ولا يمكن مواجهة هذه الهموم والصّمود أمامها، وعدم الاستسلام إلى ضغوطها النفسيّة والفكريّة إلا بالارتباط الواعي بالله تعالى، وأفضل وسائل الارتباط هو الاستغفار.

ومن هنا جاءت أحاديث أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام مؤكّدة على ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ومَنْ كَثُرَتْ همومُهُ فَعَلَيْهِ بالاسْتغْفارِ**»[4].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٤٩، قصار الحكم: ٨٢.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٥، ح/٣٨٢٩.

(٣) العقد الفريد: ١٢٦/٣.

(٤) الكافي: ٢٢٩/١٥، ح/١٤٨٨٠.

وعن رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «**مَنْ أَكْثَرَ الاسْتغْفارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ منْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمنْ كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ منْ حَيْثُ لا يَحْتَسبُ**»[١].

ولكن يجب أن نؤكّد أنَّ الاستغفار الّذي يُفَرّج الله به الهموم يجب أن يكون منبعثاً عن وعي، وصدق، وإخلاص، وحركة متواصلة في سبيل الله تعالى، وبدون ذلك سيكون كاستغفار ذلك الأعرابيّ الّذي شكا إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ شدّة لحقت به، وضيقاً أصابه في معيشته، فقال له عَلَيْهِالسَّلَامُ: «**عَلَيْكَ بالاسْتغْفار، فَإنَّ اللهَ [تعالى] يَقولُ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾**[٢]... الآيات»، فمضى الرّجل، ثمّ عاد إليه، وقال: «يا أمير المؤمنين، قد استغفرتُ كثيراً، وما أرى فرجاً ممّا أنا فيه؟»، فقال له: «**لَعَلَّكَ لا تُحْسنُ أَنْ تَسْتَغْفرَ؟**»، قال: «علّمني»، قال: «**أَخْلصْ نيَّتَكَ، وَأَطعْ رَبَّكَ، وَقُلْ: اللّهُمَّ، إنّي أَسْتَغْفرُكَ منْ كُلِّ ذَنْبٍ، قَوِيَ عَلَيْه بَدَني بعافيَتكَ، أَوْ نالَتْهُ يَدي بفَضْل نعْمَتكَ، أَوْ بَسَطْتُ إلَيْه يَدي بسابغِ رزْقكَ، أَو اتَّكَلْتُ فيه، عنْدَ خَوْفي منْهُ، على أَناتكَ، أَوْ وَثقْتُ فيه بحلْمكَ، أَوْ عَوَّلْتُ فيه عَلَى كَرَمِ عَفْوكَ...**».

قال الأعرابيّ: «فاستغفرتُ بذلك مراراً، فكشف الله عزَّ وجلَّ عنّي

---

(١) كتاب الفرج بعد الشدّة: ١/١٢٣.

(٢) نوح: ١٠.

الغمَّ والضّيق ووسع عليَّ في الرزق، وأزال عنّي المحنة»[١].

٥- بالاستغفار يزيد الله الرّزق: الرّزق اسم لما يفيضه الله على الكائنات الحيّة لما يُقَوّم به حياتها واستمراريتها في الحياة، وقيل: «ما قُسِمَ للعبد من صنوف ما يحتاج إليه مطعوماً ومشروباً وملبوساً»[٢]، والرّزق لا يقتصر على الجوانب المادية لما يغذي البدن، بل يشمل الجوانب المعنوية كالعلم، والإيمان، والتقوى والصبر، والقوة، والبصيرة، والعزم، والإرادة.

قال الرّاغب الأصفهانيّ: «الرّزْقُ يُقال للعطاء الجاري تارةً، دنيويّاً كان أم أخرويّاً، وللنّصيب تارةً، ولما يصلُ إلى الجَوْفِ، ويُتغذّى به تارةً، يُقال: أعطى السّلطانُ رِزْقَ الجند، ورُزِقْتُ علماً، قال: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[٣]، أي: من المال والجاه والعلم... ويمكن أن يحمل على العموم فيما يُؤْكَل ويُلْبَس ويُسْتَعمَل، وكلّ ذلك ممّا يخرج من الأرضين، وقد قيّضه الله بما ينزّله من السَّماء من الماء»[٤].

وقال العلامة الطّباطبائيّ: «وبالجملة جميع ما يفيضه الله على خلقه من الخير، وكلّه خير ينتفع به يكون رزقاً بحسب انطباق المعنى إذ ليس

---

(١) كتاب الفرج بعد الشدّة: ١/١٤٣-١٤٤.

(٢) موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/٨٥٩.

(٣) المنافقون: ١٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٧٣، (رزق).

الرّزق إلا العطيّة الَّتي ينتفع بها الشَّيء المرزوق، وربّما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾[(١)]»[(٢)].

وخلاصة الكلام: أنَّ كلَّ ما يفيضه الله على عباده من الخيرات المادّيّة والمعنويّة هي رزق منه إليهم ممّا يُقَوّم به حياتهم.. ومن الواضح أنَّ الأعمَّ الأغلب من النّاس يستحوذ عليهم طلب الرّزق، وأكثر ما يشغلهم ويهيمن عليهم هو العمل على تحصيل الأرزاق بجميع أنواعها وأصنافها مادّيّة أو معنويّة، والله تعالى جعل حصول الرّزق بالسّعي والجدّ لكسبه بأسبابه الطَّبيعيّة، وقد حثَّ الإسلام على الكسب في الكتاب والسّنّة، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[(٣)].

وأمّا في السّنّة، فقد أنزله الله بمنزلة الجهاد في سبيل الله، قال صلى الله عليه وآله: «**الْكادُّ عَلى عِيالِه كَالْمُجاهِد في سَبيلِ الله**»[(٤)].

وقد يسعى الإنسان، ويكدّ لطلب الرّزق، ولا يحصل إلا على القليل منه؛ ولذا فإن كانت علاقة العبد بربّه علاقة وعي وإخلاص تُقرّبه إلى الله، وتفتح له أبواب رحمته، وأعظم ما يقرب العبد إلى ربّه هو

(١) طه: ١٣١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٣٩/٣.

(٣) الملك: ١٥.

(٤) الكافي: ٥٦٦/٩، ح/٨٤٣٦.

الاستغفار والتَّوبة والتّوسّل إليه تعالى، وهذا ما حكاه تعالى بقوله على ألسنة أنبيائه ورسله كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾(١).

وقوله تعالى حاكياً عن لسان هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾(٢).

وقوله تعالى حاكياً عن لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾(٣).

هذا ما ورد صريحاً في القرآن الكريم، وهو واضح بزيادة الرّزق، ولا يحتاج إلى كثير بيان، وأمّا السّنّة، فقد جاءت مفسّرة ومبيّنة لما ورد في الكتاب الكريم في تأكيد هذه الحقيقة، وهي أنَّ الاستغفار بوعي إلهيّ، وصدق رساليّ، وإخلاص عمليّ، تقرّباً إلى الله، يزيد في رزق العبد، وقد جاء هذا صريحاً في الأحاديث الشّريفة نذكر منها قول رسول

---

(١) هود: ٣.

(٢) هود: ٥٢.

(٣) نوح: ١٠-١٢.

الله ﷺ: «**مَنْ أَكْثَرَ الاسْتغْفارَ جعَلَ اللهُ لَهُ منْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومَنْ كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسبُ**»(١).

وفي أحاديث الإمام عليّ عليه السلام صراحة واضحة تؤكّد أنَّ «**الاسْتغْفارَ يُزيدُ في الرِّزْق**»(٢).

وعنه عليه السلام: «**وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحانَهُ الاسْتغْفارَ سَبَباً لدُرور الرِّزْق، وَرَحْمَةَ الْخَلْق، فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾(٣)، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَه، وَاسْتَقالَ خَطيئَتَهُ، وَبادَرَ مَنيَّتَهُ**»(٤).

وأوضح من ذلك قوله للأعرابيّ الّذي شكا له ضيق حاله، وكثره عياله، في الرّواية المتقدّمة قبل قليل، فأمره بالاستغفار، ولكن الأعرابيّ لم يفهم حقيقة الاستغفار، وتصوّرها ألفاظاً يردّدها بلسانه من دون أن تترسّخ في جنانه، وتظهر عمليّاً على جوارحه، فعاد إليه شاكياً إليه عدم تحقّق مرامه، فَعَلّمه الإمام عليه السلام أسلوب الاستغفار الصّحيح.

إذن وفق هذا الحديث يجب على المستغفر أن يحسن الاستغفار، ودعائم هذا الإحسان هو إخلاص النّيّة، وإطاعة الله بذكر نعمه، ثمَّ بعد ذلك أن يصلّي على محمّد وآل محمد قبل أن يطلب حاجته.

---

(١) كتاب الفرج بعد الشّدّة: ١٢٣/١.

(٢) كتاب الخصال: ٥٠٥/٢.

(٣) نوح: ١٠-١١.

(٤) نهج البلاغة: ٢٢٩، خطبة: ١٤٣.

٦- الاستغفار من أفضل أساليب الذّكر لله تعالى، بل سيّدها، فعن جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**تَعَلَّموا سيِّدَ الاسْتغْفار: "اللّهمَّ، أَنْتَ ربِّي، لا إلهَ إلا أَنْتَ خلَقْتَني، وأَنا عَبْدُك، وأَنا على عَهْدِكَ، وأَبوءُ**[1] **بنعْمَتكَ عليَّ، وأَبوءُ لَكَ بذَنْبي، فاغْفرْ لي، إنَّهُ لا يَغْفرُ الذُّنوبَ إلا أَنْتَ"**»[2].

وفي صحيح البخاريّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**سَيِّدُ الاسْتغْفار أَنْ تَقولَ: اللّهُمَّ، أَنْتَ ربِّي، لا إلهَ إلا أَنْتَ خَلَقْتَني وأَنا عَبْدُكَ، وأَنا على عَهْدكَ ووَعْدكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بكَ منْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بنعْمَتكَ عَلَيَّ، وأَبوءُ بذَنْبي، اغْفرْ لي، فَإنَّهُ لا يَغْفرُ الذُّنوبَ إلا أَنْتَ**»، قالَ: «**ومَنْ قالَها منْ النَّهار موقناً بها، فَماتَ منْ يَوْمه قَبْلَ أَنْ يُمْسيَ فَهُوَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة، ومَنْ قالَها منْ اللَّيْلِ وهُوَ مُوقنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبحَ، فَهُوَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة**»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ الْعبادَة قَولُ: "لا إلهَ إلا اللهُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله"، وخَيْرُ الدُّعاء الاسْتغْفارُ، ثُمَّ تَلا النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ**

(١) أبوء: باء - يبوء بوءاً - إليه: رجع، وبالذّنب: أقرّ.

(٢) معاني الأخبار: ١٤٠.

(٣) صحيح البخاريّ: ٨٤/١٠، ح/٥٦٠٠.

إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[١]»[٢].

وفي حديث آخر: «**خَيْرُ الْعِبادَةِ الاسْتِغْفارُ**»[٣].

٧- الاستغفار أفضل دواء لأمراض القلوب: إنَّ القلوب لتمرض كما تمرض الأبدان، وأمراض القلوب هي أثر من آثار الذُّنوب الَّتي يرتكبها الإنسان، ﴿ **فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ** ﴾[٤]، ﴿ **كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ** ﴾[٥]، فأدران الذّنوب، ومساوئ الأخلاق، وقبائح العادات تترك أثراً سيّئاً على صفحات القلوب، وإلى هذا أشارت السّنّة الشّريفة، قال ﷺ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى دائِكُم وَدَوائِكُم؟ أَلا إِنَّ داءَكُمُ الذُّنوبُ، وَدَواءَكُمُ الاسْتِغْفارُ**»[٦].

وعنه ﷺ أنَّه قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ دَواءٌ، وَدَواءُ الذُّنوبِ الاسْتِغْفارُ**»[٧].

---

(١) محمّد: ١٩.

(٢) المحاسن: ٤٥٣/١، ح/١٠٤٥.

(٣) الكافي: ٣٧٨/٤، ح/٣٢٢١.

(٤) النّحل: ٣٤.

(٥) المطّفّفين: ١٤.

(٦) الجامع لشعب الإيمان: ٣٤٨/٩، ح/٦٧٤٦.

(٧) الكافي: ٢٣٩/٤، ح/٢٩٨١.

ووصفت أمراض القلوب بالصّدأ، قال ﷺ: «**إنَّ للْقلوب صَدَاً كَصَدَأَ النُّحاسِ، فَأَجْلوها بِالاسْتغْفار**»[١]، وإنّما تُجلى القلوب بالاستغفار؛ لأنَّ العبد المؤمن حين يخالف أحكام الله تعالى لغفلة، أو شهوة، أو تسويل نفس، أو غِلبة هوى يشعر بالنَّدم والمسؤوليّة أمام الله تعالى، فتتحرّك في داخله محكمة الضَّمير، وتثور النَّفس اللّوّامة فيه، فتطرق بقوّة بمقارع النَّدم على شغاف قلبه[٢]؛ لتنفض عنه تراكمات الغفلة، ورين الذّنوب؛ لتوقظه من غفلته، وليصحو من سكرته، فحينئذٍ يطلب من الله الغفران، وإذا ما وفّقه الله لذلك فحينئذٍ يمكن أن يتوجّه إليه تعالى بصدق، وإخلاص، وخشوع، وضراعة، وتذلّل، متوسّلاً بالله، نادماً على ما فرط منه من معاصٍ، مستغفراً، فإنَّ الله برحمته يزيل الرَّين عن قلبه بغفران ذنوبه كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**جَلاءُ هذه الْقُلوب ذكْرُ الله، وَتلاوَةُ الْقُرْآن**»[٣]، ومعلوم أنَّ كلمة التَّوحيد (**لا إِلهَ إلا الله**) سيّدة الأذكار محفّزة على الاستغفار.

وقال ﷺ: «**هذه الْقُلوبُ تَصْدَأُ كَما يَصْدَأُ الْحَديدُ**»، قالوا: «يا

---

(١) عدّة الدّاعي ونجاح السّاعي: ٣٠٣.

(٢) إنّما يحدث هذا إذا لم يكن من الّذين قست قلوبهم فطُبِعَ عليها، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ المنافقون: ٣.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر: ٢/ ٣٩٠، ح/ ٢٣٨٢.

رسول الله، فما جلاؤها؟» قال: «**ذِكْرُ الله**»(١).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جلاءً لِلْقُلوب، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعانَدَةِ**»(٢).

٨- بالاستغفار يحمي الله الإنسان من الوقوع في شراك الشّيطان:

إنَّ أشدّ أعداء الإنسان المؤمن هو الشَّيطان: ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ** ﴾(٣)، وعداوة الشّيطان للإنسان لا تحتاج إلى تعريف، وله أساليب وخطط ومقدمات لإغواء بني آدم إذ قال: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ** ﴾(٤).

وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من أساليبه كالهمز، واللّمز، والنّفث، والوسوسة، والكيد، والأماني... وأساليبه كثيرة نذكر منها:

الرّصد: ﴿ **قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ** ﴾(٥).

الوسوسة: ﴿ **فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ**

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٩٧/٨.

(٢) نهج البلاغة: ٣٦٩، خطبة: ٢٢١.

(٣) فاطر: ٦.

(٤) ص: ٨٢-٨٣.

(٥) الأعراف: ١٦.

﴿ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[(١)].

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[(٢)].

التّزيين: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٣)].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[(٤)].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾[(٥)].

الوعد والمناجاة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[(٦)].

الهمز والطّعن: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[(٧)].

---

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) النّاس: ٤-٥.

(٣) الأنعام: ٤٣.

(٤) النّمل: ٢٤.

(٥) العنكبوت: ٣٨.

(٦) النّساء: ١٢٠.

(٧) المؤمنون: ٩٧.

الاستفزاز: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[١].

الاحتناك: ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٢].

الاستحواذ: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٣].

وغيرها من الأساليب الَّتي يسلكها الشَّيطان لإغواء عباد الله تعالى، فكيف يحمي الإنسان نفسه من هذا العدو الّذي لا ينفكّ عن مواصلة إغوائه لبني آدم ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾[٤]؟

وقد أوضح النّبيّ صلى الله عليه وآله سبيل المقاومة للشّيطان بقوله صلى الله عليه وآله: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ، تَباعَدَ الشَّيْطانُ مِنْكُمْ كَما تَباعَدَ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ؟ قالوا: بَلى، قالَ: ... وَالاسْتِغْفارُ يَقْطَعُ وَتِينَهُ**»[٥].

وهي كلمة موحية تدل دلالةً عظيمة على أهمّيّة الاستغفار في

---

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) الإسراء: ٦٢.

(٣) المجادلة: ١٦.

(٤) الأعراف: ١٧.

(٥) الكافي: ٣٦٨/٧-٣٦٩، ح/٦٢٥٣.

حماية الإنسان من كيد هذا العدوّ العنيد، فالوتين هو عرق في القلب، إن قُطِعَ فارق الكائن الحيّ حياته فوراً، وهكذا يتّضح لنا أنَّ الاستغفار يحمي الإنسان ويعصمه من كيد الشَّيطان، جاء عن رسول الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ مَعْصومونَ منْ شَرِّ إبْليسَ وَجُنوده: الذّاكرونَ اللهَ كَثيراً بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَالْمُسْتَغْفِرونَ بِالأَسْحارِ، وَالْباكونَ مِنْ خَشْيَةِ الله**»[1].

كَيْفَ يُحَقِّقُ اللّهُ للإنسان هذِهِ الْمُعْطَياتِ بِالاسْتِغْفارِ؟

ثمَّ لا بدَّ من أن نتساءل كيف يمكن أن يحقّق الله تعالى كلّ هذه الفوائد والعطاءات لعباده بالاستغفار؟

والجواب: إنَّ ممّا لا شكَّ فيه أنَّ السَّير في هدى الله هو الثبات والاستقامة على خطّ الفطرة الإلهيّة الَّتي فطر النّاس عليها، ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

وبهذا السَّير على هذا المنهج فإنَّ المجتمع سيكون في أمن وأمان من مخاطر الخروج عن نهج الحقّ والعدل، وتلك هي شرعة الله تعالى الَّتي شرعها لخلقه منذ أهبط آدم على الأرض بقوله تعالى: ﴿ **فَإِمَّا**

---

(١) كنز العمّال: ٨٤١/١٥ ح/٤٣٣٤٣.

(٢) الرّوم: ٣٠.

يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[1].

وبذلك ضمن للإنسانيّة أجمع إن سلكت هذا السَّبيل حفظها من كلّ ظلامة، ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴾[3].

إذن السَّير في هدى الله تعالى هو الاستقامة على منهج العدل والإحسان، وهذه هي الجادّة الوسطى الَّتي يحفظ فيها الإنسان توازنه واعتداله وأمنه وأمانه، وبذلك يحقّق الله سعادته في الدُّنيا والآخرة، ويفتح له بركات السَّماء والأرض، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾[4]، «أي كثيراً، وهو - على الظّاهر - واردٌ على سبيل الكناية، تعبيراً عن الرّخاء والسّعة في الرّزق؛ باعتبار أنَّ الماء هو الأساس في ذلك كلّه، وهذا هو التّلازم بين الاستقامة والرّخاء، وهو الّذي يريد القرآن تأكيده في وعي الإنسان، على أساس أنَّ ذلك هو الوضع الطّبيعيّ الّذي يفرضه اتّجاه الطّاقات في مجراها العاديّ الّذي يملأ الحياة خيراً وبركة، بينما يتمثّل الانحراف في ابتعاد الطّاقات عن النّتائج الطّيّبة؛ لتحلّ محلّها النّتائج الخبيثة البعيدة عن مصلحة الإنسان، وخلاصة ذلك: أنَّ خراب

---

(١) البقرة: ١٣٨.

(٢) طه: ١١٢.

(٣) الجنّ: ١٣.

(٤) الجنّ: ١٦.

الحياة، وعمرانها بيد الإنسان، فإذا أخلص لله فيها على منهاجه، كانت الحياة جنّة الله على الأرض، وإذا سار بعيداً عن منهاج الله، وانحرف عن خطّه، تحوّلت الحياة عنده إلى جحيم من الشّقاء، في ما يُنتجه من الحروب والدّمار والفساد»[1].

وهكذا يتّضح لنا «أنَّ ما يسبّب توفير النّعمة هو الاستقامة على الإيمان، وليس أصل الإيمان؛ لأنَّ الإيمان المؤقّت لا يستطيع أن يُظْهر من هذه البركات، فالمهمّ هو الاستقامة والاستمرار على الإيمان والتَّقوى»[2].

وممّا يؤكّد هذه الحقائق قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[3]، فالاستقامة على خطّ التَّقوى والإيمان يفتح الله بها على المجتمع البشريّ بركات السّماء والأرض، وإنَّما يفتحها بتأثير التزامهم بالقوانين الإلهيّة الَّتي تضع الإنسان في المسار الطّبيعيّ الّذي لا يتعارض مع الفطرة الإنسانيّة.. وخلاصة الكلام أنَّ انفتاح أبواب السّماء والأرض بالطّاقات والثّروات العظيمة المودعة فيها إنّما تنفتح بفعل جهود الإنسان المتحرّك بروح إيمانيّة فاعلة، واستغلال للثَّروات بدون جشع ولا طمع، وإنّما باعتدال وتوازن، وهذا ما تفرضه مَلكة التقوى على المُتَخلّق

(١) تفسير من وحي القرآن: ٢٠٩/١٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٨٧/١٩.

(٣) الأعراف: ٩٦.

بها؛ لأنَّ الحوادث الكونيّة «تتبع الأعمال بعض التّبعيّة، فَجَرْيُ النّوع الإنسانيّ على طاعة الله سبحانه وسلوكه الطَّريق الَّذي يرتضيه يستتبع نزول الخيرات، وانفتاح أبواب البركات، وانحراف هذا النَّوع عن صراط العبوديّة، وتماديه في الغيّ والضَّلالة، وفساد النّيّات، وشناعة الأعمال يوجب ظهور الفساد في البرّ والبحر وهلاك الأمم بفشوّ الظّلم، وارتفاع الأمن، وبروز الحروب وسائر الشّرور الرّاجعة إلى الإنسان وأعماله، وكذا ظهور المصائب والحوادث المبيدة الكونيّة كالسَّيل والزّلزلة والصّاعقة والطّوفان وغير ذلك»(١).

وهكذا يتّضح لنا كيف أنَّ الاستغفار به يحقّق الله تعالى للإنسان كلّ تلك الخيرات؛ وذلك لأنَّ الاستغفار يرسّخ الإيمان والتَّقوى في القلب، والاستقامة في السّلوك، والسَّير على النَّهج السَّليم، وكلّما ازداد الإنسان استقامة وثباتاً على الشَّريعة الغرّاء ازداد معرفةً بالله وبأحكامه، وكلّما ترسّخت المعرفة الإلهيّة في النَّفس الإنسانيّة ازداد الإنسان شعوراً بالتَّقصير والقصور أمام عظمة الله وجلاله، وكلّما اشتدّ هذا الشّعور رسوخاً في النّفس كشف له ما في نفسه من ضعف وتهاون، وارتسمت أمام عينه ما وقع فيه من مخالفات شرعيّة، واستحضر تلك المعاصي، ولو تباعد بها الزّمان، ومحيت من «شاشة» النّفس، وحينئذ ينبعث في نفسه النّدم والانكسار أمام الله تعالى، فيرزقه الله الخوف، والخشية، والخضوع، والتّوسّل إليه، وحينئذٍ يرفع آهات نفسه لغفران ذنوبه، فينطلق الاستغفار

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٨١/٢.

من قلبه على لسانه من حيث يريد أو لا يريد، قال الإمام الصّادق عليه السلام: **«إنَّ الْمُؤْمن لَيُذْنبُ الذَّنْبَ، فَيَذْكرُ بَعْدَ عشْرين سَنَةً، فَيَسْتَغْفرُ الله مَنْهُ، فَيَغْفر لَهُ، وإنَّما يُذَكّرُهُ؛ ليَغْفرَ لَهُ، وَإنَّ الْكافر لَيُذْنبُ الذَّنْبَ، فَيَنْساهُ منْ ساعَته»**[1].

إذَن الاستَغفار عمليّة مراجعة فكريّة وروحيّة، وإدراك للواقع النّفسيّ للإنسان نفسه، وحينئذٍ يلجأ إلى استمداد العون من الله؛ لمحو ذنوبه وإصلاح ذاته، وإعانته على أهوائه، وإذا لم يدرك الإنسان هذه المعنى فلا معنى لاستغفاره، بل تصبح لقلقة ألفاظ بهذا المعنى للاستغفار بمَنِّ الله على عباده بتلك المعطيات.

أَنْواعُ الاسْتِغْفارِ:

يختلف الاستغفار باختلاف معرفة المستغفرين، ومستوى وعيهم لأسماء الله وصفاته ومدى تفقّههم في دينهم، ومعرفة أحكامه، ويمكننا أن نقسم الاستغفار على ثلاثة أقسام:

١- الاستغفار اللّفظيّ: وهو ترديد الألفاظ بدون وعي لمعناها وأبعادها وأسبابها وأهدافها والتّوقّف في حدوده بدون أن يترتّب عليها أثر عملي، ولا يظهر لها في سلوك المستغفر أثرٌ إيجابيٌّ، وقد عبّرت بعض الأحاديث عن هذا النّوع من المستغفرين بالمستهزئ بربّه والعياذ

(١) الكافي: ٢٣٨/٤، ح/٢٩٧٩.

بالله، وبالمستهزئ بنفسه؛ لأنَّه يردّد لفظاً ولم يغيّر سلوكاً، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**الْمُقيمُ عَلى الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَغْفِرٌ مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزِئ**»[(١)].

وعن الإمام الرّضا عليه السلام: «**الْمُسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبٍ وَيَفْعَلُهُ كَالْمُسْتَهْزِئ بِرَبِّه**»[(٢)].

وعنه عليه السلام: «**مَنِ اسْتَغْفَرَ بِلِسانِه، وَلَمْ يَنْدَمْ، فَقَدِ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِه**»[(٣)].

وربّما كان ردّ أمير المؤمنين عليه السلام بشدّة على من استغفر في حضرته في الحديث المتقدّم في بيان حقيقة الاستغفار بقوله: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْري ما الاسْتِغْفارُ؟...**»، ثمَّ وضّح له حقيقة الاستغفار بأبعاده السّتّة الَّتي بيّنها مشيراً إلى ذلك النَّوع من الاستغفار؛ ليؤكّد أنَّ الاستغفار ليس مجرّد لفظ يلفظ، وإنَّما هو مراجعة للنَّفس، يعقبها ندم على ما فرط في جنب الله، وظَلم بها نفسه، ثمَّ ينبعث في النَّفس عزمٌ وتصميمٌ؛ لتلافي ما ظلم به نفسه، ولتغيير واقعه، ويمتد أفقيّاً ليعيد علاقاته الاجتماعيّة بأداء حقوق النّاس الَّذين تعدّى عليهم، ومن خلال هذه المراجعة يؤدّي ما ضيّع من فرائض الله، وبهذه المعاناة يذيب ما بناه في جسمه بمال حرام ناله؛ ليعود إلى الله صافياً من أدران المعاصي.

---

(١) الكافي: ٢٣٢/٤، ح/٢٩٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٩/٤، ح/٣٢٢٣.

(٣) كنز الفوائد: ٣٣٠/١.

٢- الاستغفار القلبيّ: وهذا النَّوع أفضل من سابقه لما يحتويه من تفاعل داخليّ قد يحرّك الإنسان، لتغيير واقعه النَّفسيّ والفكريّ والسّلوكيّ، حين يخلو بنفسه، ويتوجّه إلى ربّه بوعي وصدق وإخلاص، متجرّداً عن كلّ ما سواه، ولا سيّما في سواد الليل، وخصوصاً في وقت السّحر؛ ولذا مدح الله تعالى المستغفرين بالأسحار الّذين ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾[1].

٣- الاستغفار التّكامليّ: وفيه يلتحم اللّسان مع القلب، وتمتزج الفكرة بالعاطفة بانسيابها من العقل إلى القلب، لتحرّك الجوارح، وتنبعث حركة تغيير وإصلاح من داخل النّفس؛ لتحدث ثورة في الضَّمير والوجدان كادحة إلى الله بخوف، وخشوع، وخضوع، وتوسّل طالبة محو ما أصابها من لوثات أدران الذّنوب، وسيّئات الأخلاق، قائلةً: «**اللّهمَّ، أَنْتَ ربّي، لا إله إلا أَنْتَ، خَلَقْتَني وأَنا عَبْدُكَ، وابْنُ أَمَتك في قَبْضَتك، وناصيتي بيَدك، أَمْسَيْتُ على عَهْدكَ ووَعْدكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ برضاكَ منْ شَرِّ ما صَنَعَتُ، أَبوءُ بعمَلي، وأَبوءُ بذُنوبي، فَاغْفرْ ذُنوبي، إنَّه لا يَغْفرُ الذُّنوبَ إلا أَنْتَ**»[2].

التَّقْسيمُ النَّفْسيُّ الوُجْدانِيُّ للاسْتِغْفَارِ:

جاء في زيارة الإمام الرّضا عليه السلام المرويّة عن الإمام الجواد عليه السلام الّتي أوردها المحدّث المجلسيّ رحمه الله في بحاره تقسيم آخر على أساس

---

(١) السّجدة: ١٦.

(٢) مصباح المتهجّد: ٢٧٠.

ما ينبعث في النَّفس من حال نفسيّة تنعكس على الإنسان أثناء مناجاته لله تعالى، وطلب مغفرته؛ ليطهّر نفسه ممّا علق فيها من أوضار الذّنوب، فيقول:

«رَبِّ، إنّي أَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ حَياء، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ رَجاء، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ إنابَة، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ رَغْبَة، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ رَهْبَة، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ طاعَة، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ إيمانَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ إقْرار، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ إخْلاص، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ تَقْوًى، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ تَوَكُّل، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ ذِلَّة، وَأَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغْفارَ عامِل لَكَ، هارِب مِنْكَ إلَيْكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآل مُحَمَّد وَتُبْ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ بِما تُبْتَ وَتَتُوبُ عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ»[١].

ونلحظ في هذا الدّعاء الشّريف بروز السّمات الأخلاقيّة الّتي تنبعث في النّفس حين تقف في محراب عبادة الله تعالى بحياء، ورجاء، وإنابة، ورهبة، وطاعة وإيمان، وتقوى، وإخلاص...

ولنقف عند كلّ مفردة منها لنتأمّل فيها لعلّ الله يفتح علينا أبواب وعيها، والتّحلّي بها، هذه الأقسام هي:

١- اسْتِغْفارُ حَياءٍ:

حين يقف الإنسان بين يدي ربّه طالباً غفران ذنوبه، تشخص أمامه

---

(١) بحار الأنوار: ٥٦/١٠٢.

حقيقتان: نِعَمُ الله تعالى الّتي أفاضها الله عليه بلا حدود ولا قيود، والّتي لا تعدّ ولا تحصى، والحقيقة الثّانية ذنوبه وآثامه ومخالفاته الّتي نقض بها العهد الّذي قطعه لله على نفسه بالإيمان والالتزام حين قال في عالم الفطرة يوم خلقه الله: ﴿بَلَىٰ﴾ جواباً لقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1].

وممّا لا شكّ فيه أنَّ المؤمن بالله حين تبرز هاتان الحقيقتان أمام نواظره في محراب عبادته في المحضر الإلهيّ المقدس لا بدَّ من أن يعتريه انكسار، وخجل، واحتشام، وتصاغر، وذلّة بين يدي الله الذي خلقه وسوّاه وعدّله[2]، فقابله بغروره وجهله بفعل منكر قبيح، ولمّا كانت رحمة الله أوسع من كل شيء حينئذ يفتح الله عليه باب التّوبة، فيطلق لسانه بالاستغفار بخضوع وخشوع: «**رَبِّ، إِنّي أَسْتَغْفِرُكَ اسْتِغفارَ حَياءٍ..**»، فما هو هذا الحياء الّذي أضيف إلى الاستغفار؟

والجواب: «الحياء في اللّغة: تَغَيُّرٌ يلحق الإنسان من خوف ما يعاب به، وفي الشّرع: خُلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التَّقصير في حقّ ذي الحقّ... فهو في استعماله على وفق الشَّرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونيّة؛ فلذلك كان من الإيمان، وقد يكون كسبيّاً، ومعنى كونه من الإيمان أن المُستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، فيصير كالإيمان القاطع

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ الانفطار: ٦-٨.

بينه وبين المعاصي»[١].

وكما سيتّضح لنا من خلال الأحاديث الشّريفة بأنَّ الحياء «ملكةٌ للنّفس توجب انقباضها عن القبيح، وانزجارها عن خلاف الآداب، خوفاً من اللَّوم»[٢]، تلك الملكة المترسّخة في النَّفس، الَّتي تنبعث من أعماق الفطرة الَّتي فُطِرَ النّاس عليها؛ ولذا كان حصولها بسبب الإيمان بالله واليوم الآخر؛ «لأنَّ الإيمان بالله وبرسوله وبالثَّواب والعقاب وقبح ما بيّن الشّارع قبحه يوجب الحياء من الله ومن الرَّسول، ومن الملائكة وانزجار النَّفس من القبائح والمحرّمات لذلك»، وقد يكون الحياء من الخصال الَّتي هي من أركان الإيمان، أو توجب كماله[٣].

وممّا يؤكّد هذا المعنى للحياء ما ورد من الأحاديث الشَّريفة عن النبي وآله صلوات الله عليهم جميعاً نذكر منها:

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**الْحَيَاءُ مِنَ الإيمانِ، وَالإيمانُ في الْجَنَّة**»[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الْحَيَاءُ مِنَ الإيمان، فَيَقْبَلُ الْحَيَاءُ بِالإيمانِ، وَالإيمانُ بِالْحَيَاءِ، وَصاحِبُ الْحَيَاءِ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَمَنْ حَرِمَ**

(١) سبل السّلام: ٦٨٩/٤.

(٢) مرآة العقول: ١٨٧/٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) الكافي: ٢٧٤/٣، ح/١٧٨١.

الْحَياءَ فَهو شَرٌّ كُلُّه، وإنْ تَعبَّدَ وتَورَّع، وإنَّ خُطْوةً يَتَخطّاهُ في ساحات هَيْبَةِ الله بالْحَياء مِنْه إلَيْه خيْرٌ لَه منْ عبادَة سَبْعين سَنَةً»[1].

وعنه ﷺ في حديث آخر: «**الْحَياءُ من الإيمان، الْحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ، الْحَياءُ لا يَأتي إلا بالْخَيْر، فَإنَّ الرَّجُلَ إذا كانَ حَيِّياً لَمْ يُرَخِّصْ حَياؤُه منَ الْخَلْقِ في شَيْءٍ منَ الْفَواحِش**»[2].

وقد قَرَنت بعض الأحاديث الحياء بالإيمان، فلا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر، قال رسول الله ﷺ: «**الْحَياءُ والإيمانُ كُلُّهُ في قَرْنٍ واحد، فَإذا سُلِبَ أَحَدُهُما أَتْبَعَهُ الآخَرُ**»، علّق الشَّيخ الصّدوق رحمه الله على الحديث قائلاً: «يعني أنَّ من لم يَكُفّه الحياء عن القبيح فيما بينه وبين النّاس، فهو لا يكفّه عن القبيح فيما بينه وبين ربّه عزَّ وجلَّ، ومن لم يستحِّ من الله عزَّ وجلَّ وجاهره بالقبيح فلا دين له»[3].

وفي رواية ثالثة: «رُوِيَ أنَّ جبرئيل عليه السلام نزل إلى آدم بالحياء والعقل والإيمان، فقال: **ربُّكَ [يُقْرِئُكَ السَّلامَ و]يَقولُ لَكَ: تَخَيَّرْ منْ هذه الأَخْلاق واحداً**، فاختار العقل، فقال جبرئيل للإيمان والحياء: **ارْحَلا**، فقالا: أَمرنا أَن لا نفارق العقل»[4].

---

(١) مصباح الشّريعة: ١٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢٩/٧١.

(٣) معاني الأخبار: ٤١٠.

(٤) إرشاد القلوب: ٢١٩/١.

وفي رواية أخرى: «**الْحَيَاءُ مِنَ الإيمانِ، فَمَنْ لا حَيَاءَ لَهُ لا خَيْرَ فيه، وَلا إِيمانَ لَهُ**»(١).

مَعْنى الْحَياءِ مِنَ اللهِ:

الحياء من الله تعالى مفهوم عمليّ ينبعث من باطن الإنسان على ظاهره، فهو يستحضر عظمة الله تعالى وجلاله وجماله، ويستشعر رقابته في كلّ حركة وسكون، ويؤمن بهيمنة الله تعالى على خلقه، ويعلم مدى قدرته وتسلّطه عليه، ويؤمن بسعة رحمته لعباده، هذا من جانب، ومن جانب ثان يرى ضعفه وهزاله وفقره وحاجته لكلّ شيء، ومع ذلك يعلم أنَّ الله أمدَّه بوجوده وبقائه وحياته، وبيده سعادته وشقاؤه، وإذا ترسّخت كلّ تلك المعاني الرّوحيّة والفكريّة في نفسه فإنَّها تحوّل التّصوّرات والأفكار إلى حال وملكة تملك عليه كلّ وجوده، وتصبح طاقة محرّكة نحو الكمال الإنسانيّ، ومانعة من السّقوط في مهاوي النَّقص.

وبناءً على ذلك، فسوف تتحوّل تلك المفاهيم إلى طبع وعادة وسلوك رساليّ، ولتركيز هذه الحقائق الرّوحية رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: «**قالَ رَسولُ الله** صلى الله عليه وآله: **اسْتَحْيوا منَ الله حَقَّ الْحَيَاء، قالوا: وَما نَفْعَلُ يا رَسولَ الله؟ قالَ: فَإِنْ كُنْتُمْ فاعِلينَ فَلا يَبيتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَأَجَلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ،**

---

(١) إرشاد القلوب: ٢٢٠/١.

وَلْيَحْفَظ الرَّأس وَما وَعى، وَالْبَطْن وما حَوى، وَلْيَذْكُر الْقَبْرَ وَالْبلى، وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ فَلْيَدَعْ زينَةَ الْحَياة الدُّنيا»[١].

والحياء من الله تعالى يتناسب تناسباً طرديّاً مع معرفة الإنسان بربّه من حيث صفاته الجماليّة والجلاليّة، وأسمائه الحسنى، فكلّما ازدادت معرفته زاد خوفه وخشيته، واشتدَّ حزنه، وهيبة الله في نفسه، وذلك لأنَّ «قوّة الحياء من الحزن والخوف والحياء مسكن الخشية، فالحياء أوّله الهيبة، وصاحب الحياء مشتغل بشأنه، معتزل من النّاس، مزدجر عمّا هم فيه، ولو ترك صاحب الحياء ما جالس أحداً، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أَرادَ اللهُ بِعَبْد خَيْراً أَلْهاهُ عَنْ مَحاسنه، وَجَعَلَ مَساوِيَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَكَرَّهَهُ مُجالَسَةَ الْمُعْرِضينَ عَنْ ذكْرِ الله**»، والحياء خمسة أنواع: حياء ذنب، وحياء تقصير، وحياء كرامة، وحياء حبّ، وحياء هيبة، ولكلّ واحد من ذلك أهل، ولأهله مرتبة على حدة»[٢].

إذن الحياء من الله ليس مفهوماً نظريّاً مجرّداً، وإنّما هو حالٌ بل ملكة تترسّخ في النَّفس كلّما واصل العبد ذكر ربّه توبةً، واستغفاراً ظاهراً وباطناً حتّى تتحوّل إلى سلوك عمليّ يظهر على شخصيّة الإنسان، حتّى تصبح رؤيته تذكّر ناظريه بالله تعالى، وهذا ما أكّده رسول الله ﷺ لأبي ذرّ قائلاً: «**وَاسْتَحِ مِنَ الله حَقَّ الْحَياء**»، قال: «**قُلْتُ: يا رَسولَ الله، كُلُّنا**

---

(١) كتاب الخصال: ٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣٦/٧١.

نَسْتَحي منَ الله، قالَ: لَيْسَ كَذلكَ الْحَيْاءُ، ولَكنَّ الْحَياءَ منَ الله أَنْ لا تَنْسى الْمَقابِرَ وَالْبلى، وَالْجَوْفَ وَما وَعى، وَالرَّأْسَ وَما حَوى، فَمَنْ أَرادَ كَرامَةَ الأَجْرِ فَلْيَدَعْ زينَةَ الدُّنْيا، فَإذا كُنْتَ كَذلكَ أَصَبْتَ ولايَةَ الله عَزَّ وَجَلَّ»[1].

فالحياء من الله تعالى مفهوم عمليٌّ يتذكّر الإنسان فيه لقاء الله ورحيله عن هذه الدُّنيا، ويحفظ جوفه من أن تدخله لقمة حرام، ورأسه أن تتسرّب إليه فكرة ضلال.

٢- اسْتِغْفارُ رَجاءٍ:

حين يشعر المؤمن أنَّه أذنب وعصى وتمرّد على أحكام الله تعالى، فإنَّه يصيبه النّدم والأسف والحزن، ولمّا كان يؤمن بسعة رحمة الله وعفوه وغفرانه، وأنَّه أرحم بالعبد من أمّه وأبيه، بل أرحم من العبد بنفسه، فإنَّه سوف يسعى متوجّهاً ومتوسّلاً وراجياً من الله أن يغفر له آثامه وذنوبه ويطهّره من أدرانها، وهذا لا يتحقّق إذا لم ينبعث عن روح إيمانيّة واثقة بصفح الله، راجية غفرانه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحاول أن يرسّخ هذا الشّعور الإيمانيّ في قلوب المسلمين، فقد رُوِيَ أنَّه في إحدى غزوات النّبيّ ﷺ أنّه «وقف صبيّ في بعض الغزوات ينادى عليه في من يزيد في يوم صائف شديد الحرّ، فبصرت به امرأة، فعدت إلى الصّبيّ، وأخذته وألصقته إلى بطنها، ثمّ ألقت ظهرها على البطحاء،

(١) الشّيخ الطّوسيّ، كتاب الأمالي: ٧٨٦؛ وترتيب الأمالي: ٣٣٦/٧، ح/٤١٥٥.

وأجلسته على بطنها تقيه الحرّ، وقالت: ابني ابني، فبكى النّاس، وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله ﷺ حتّى وقف عليهم، فأخبروه الخبر، فقال: **أَعَجِبْتُمْ مِنْ رَحْمَةِ هذه بابْنِها، فَإِنَّ اللهَ تعالى أَرْحَمُ بِكُمْ جَميعاً مِنْ هذه الْمَرْأَةِ بابْنِها**، فتفرّق المسلمون على أعظم أنواع الفرح والبشارة»[١].

«وحَقَيقَةَ الرَّجاء انبساط الأمل في رحمة الله تعالى، وحسن الظّنّ به، واعلم أنَّ علامة الرّاجي حسن الطّاعة؛ لأنَّ الرجاء ثلاث مراتب: رجل عمل الحسنة فيرجو قبولها، ورجل عمل السّيّئة فيرجو غفرانها، ورجل كذّاب مغرور يعمل المعاصي، ويتمنّى المغفرة مع الإصرار والتّهاون بالذُّنوب، وقال رجل للصّادق عليه السلام: إنَّ قوماً من شيعتكم يعملون بالمعاصي، ويقولون نرجو، فقال: **كَذبوا لَيْسوا منْ شيعَتنا كُلُّ مَنْ رَجا شَيْئاً عَمِلَ لَهُ، فَوَ الله ما مِنْ شيعَتنا مِنْكُمْ إلا مَن اتَّقى اللهَ**»[٢].

ثمّ إنَّ هذا الرّجاء مشروط بالوعي لهذه الحقيقة، وبالتّوجّه الخالص لله تعالى من دون أن يمدّ عينه إلى سواه تعالى من أيّ كائن كان، وهذا ما أكّده الحديث الشّريف عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال: «**إذا أَرادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَسْأَلَ اللهَ شَيْئاً إلا أَعْطاهُ فَلْيَقْطَعْ رَجاءَهُ من النّاسِ، ولْيَصِلْهُ به، فَإِذا عَلِمَ ذلكَ مِنْهُ لَمْ يَسْأَلْهُ شَيْئاً إلا أَعْطاهُ**»[٣].

---

(١) التّفسير الكبير: ١/١٦٨-١٦٩.

(٢) إرشاد القلوب: ١/٢١٢-٢١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢١٢.

ولكنّ هذا الانقطاع الكامل عن غير الله لا يتحقّق إلا إذا ترسّخت المعرفة الإيمانيّة به تعالى، وانسابت من العقل الرَّصين إلى القلب السَّليم، فدخلته[1]، واستقرّت به وتحوّلت إلى طاقة دافعة لعبادة الله تعالى بإخلاص وتجرّد عن أيّ ضميمة أخرى غير طلب رضوانه، قال رسول الله ﷺ: «**قالَ جبْرَئيلُ: قالَ اللهُ تَعالى: عَبْدي، إذا عرَفْتَني، وعَبدْتَني، وَرَجوْتَني، ولَمْ تُشْرِكْ بي شَيْئاً، غَفَرْتُ لَكَ علَى ما كانَ منْكَ، ولَو اسْتَقْبَلْتَني بملْءِ الأَرْضِ خَطايا وَذُنوباً أَسْتَقْبلُكَ بِملْئِها مَغْفِرَةً وَعَفْواً، وأَغْفِرُ لَكَ ولا أُبالي**»[2].

إذن استغفار الرَّجاء مشروط بالتّوجّه الخالص لله، والثّقة اليقينيّة به تعالى، والتّجرّد الكامل عمّا سواه، والمعرفة الرّاسخة له تعالى في القلب، والمتجسّدة سلوكاً في الجوارح عبادة خالصة لله طلباً لرضوانه عزَّ وجلَّ، وما لم تتحقّق هذه الشُّروط يصبح هذا الاستغفار لقلقة لسان فارغ المحتوى فاقد القيمة، يقول تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ** ﴾[3].

٣- اسْتِغْفارُ إِنابَةٍ:

الإنابة لغةً هي الرّجوع إلى الله بالتّوبة، يقال: «أناب ينيب إنابةً فهو

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ** ﴾ الحجرات:١٤.

(٢) إرشاد القلوب: ٢١٢/١.

(٣) البيّنة: ٥.

منيب، إذا أقبل ورجع»[١]، أي إلى الله بالتّوبة مناجياً: «ربّ، تقبّل توبتي».

وفي لسان العرب: «وفي التّنزيل العزيز: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[٢]، أي راجعين إلى ما أَمَرَ به، غير خارجين عن شيء من أمره، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[٣]، أي توبوا إليه وارجعوا»[٤]، فالمنيب من تاب، ورجع إلى الطّاعة[٥].

واصطلاحاً: الإنابة هي «الرّجوع عن كلّ شيء ممّا سوى الله، والإقبال على الله تعالى بالسّرّ والقول والفعل، حتّى يكون دائماً في فكره، وذكره، وطاعته، فهو غاية درجات التَّوبة، وأقصى مراتبها، إذ التَّوبة هي الرُّجوع عن الذنب إلى الله، والإنابة هي الرّجوع عن المباحات أيضاً إليه سبحانه، فهو من المقامات العالية، والمنازل السّامية، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[٧]، وقال: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ۞ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ

---

(١) النّهاية في غريب الحديث والأثر: ١٢٣/٥.

(٢) الرّوم: ٣١.

(٣) الزّمر: ٥٤.

(٤) لسان العرب: ٧٧٥/١.

(٥) ينظر: رياض السّالكين: ٤٨٩/٢-٤٩٠.

(٦) الزّمر: ٥٤.

(٧) غافر: ١٣.

﴿يَوْمُ الْخُلُودِ ۞ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[(١)]، وإنابة العبد تتمّ بثلاثة أمور:

الأوّل: أن يتوجّه إليه بشراشر[(٢)] باطنه حتّى يستغرق قلبه في فكره.

الثّاني: ألا يكون خالياً عن ذكره وذكر نعمه ومواهبه، وذكر أهل حبّه وتقرّبه.

الثّالث: أن يواظب على طاعاته وعباداته مع خلوص النّيّة»[(٣)].

وقال الشَّيخ الأنصاريّ: «ويمكن حمل التَّوبة المعطوفة على الاستغفار في الآيات والأخبار على الإنابة، أعني التّوجّه إلى الله بعد طلب العفو عمّا سلف، وهذا متأخّر من التّوجّه إليه لطلب العفو الَّذي هو متأخّر عن النَّدم الَّذي هو توجّه أيضاً إلى الله، لكونه رجوعاً من طريق البطلان، وعودةً إلى سلوك الطَّريق المستقيم الموصل إلى جناب الحقّ، فهي كلّها توجّهات، وإقبالات إلى الحقّ يمكن إطلاق التَّوبة الَّتي هي لغةً (الرّجوع) على كلّ منها، وقد يطلق على المجموع اسم (الاستغفار) كما في الخبر المشهور المرويّ في نهج البلاغة [عن مولانا سيّد الوصيّين] في تفسير الاستغفار»[(٤)].

---

(١) ق: ٣١-٣٥.

(٢) «الشّراشر: النّفس وهواها، ومحبّتها، وجميع الجسد، والأثقال»، الطّراز الأوّل: ١٦٤/٨، (شرر).

(٣) جامع السّعادات: ٨٨/٣.

(٤) تراث الشّيخ الأعظم (رسائل فقهيّة): ٥٧/٢٣.

الْفَرْقُ بَيْنَ الإِنابَةِ وَالتَّوْبَةِ:

يبدو من تتبّع جذور الكلمة أنَّ الإنابة مَرْتَبةٌ عاليةٌ من مراتب التَّوبة كما قيل: «التَّوبة هي العهد، والإنابة هي الوفاء بذلك العهد»[1].

وبناءً على ذلك «فرَّق بعضهم بين الإنابة والتَّوبة، فقال: الإنابة هي أن يتوب العبدُ خوفاً من عقوبته، والتَّوبة أن يتوب حياءً من كرمه، فالأولى توبة إنابة، والثّانية توبة استجابة»[2]، فالتَّوبة أعمُّ من الإنابة، والنّسبة بينهما عموم وخصوص من وجه، فكلّ إنابة توبة، وليس العكس، «فالإنابة إنزال نفسه، وإيقاعه في منزل من منازل السّلوك إلى الله تعالى، وهذا بمعنى التّهيّؤ والاستعداد عملاً وخارجاً للتّوبة والسّلوك إليه، وعلى هذا التّهيّؤ يترتّب عناوين البشرى والتّبصرة والذّكرى والتّقوى»[3].

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[4].

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[5].

فالإنابة رجوع إلى الله، وإقبال عليه تعالى، وتوجّه إليه عزَّ وجلَّ بتجرّد إليه وإخلاص، والتَّوبة ندم بإخلاص عمليّ كما في الصَّحيفة

(1) شرح منازل السّائرين: 178.

(2) رياض السّالكين: 2/490.

(3) التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: 12/299.

(4) الممتحنة: 4.

(5) هود: 88

السّجّاديّة: «**تَلَقّاكَ بالإنابَة، وأَخْلَصَ لكَ التَّوْبَةَ**»[١].

«وإخلاص التَّوبة: أن يأتي بها على طريقها؛ لتصفو وتسلم ممّا ينافيها، وذلك أن يتوب عن القبائح لقبحها، نادماً عليها، مغتمّاً أشدّ الاغتمام لارتكابها، عازماً على أنّه لا يعود في قبيح من القبائح، مُوطّناً نفسه على ذلك بحيث لا يلويه عنه صارف أصلاً، فإذا تاب كذلك فقد أخلص التَّوبة»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ التَّوْبَةَ يَجْمَعُها ستَّةُ أَشْياء: عَلى الْماضي منَ الذُّنوب النَّدامَةُ، ولِلْفَرائض الإعادَةُ، وردُّ الْمَظالم، واسْتحْلالُ الْخُصوم، وأَنْ تَعْزم عَلى أَنْ لا تَعود، وأَنْ تُذيبَ نَفْسَكَ في طاعَة الله تَعالى كَما ربَّيْتَها في الْمَعْصيَة، وأَنْ تُذيقَها مَرارَةَ الطّاعات كَما أَذَقْتَها حَلاوَةَ الْمَعاصي**»[٣].

والتَّوبة الخالصة هي التَّوبة النَّصوح، ودليل ذلك ما ورد عن أبي الحسن الأخير عليه السلام أنَّه سُئل عن التّوبة النّصوح، فكتب عليه السلام: «**أَنْ يَكونَ الْباطِنُ كَالْظّاهِر وأَفْضَلَ منْ ذلكَ**»[٤].

وتتحقّق إنابة العبد لربّه بثلاثة أشياء كما شخَّصها العارف

---

(١) الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٥٤، دعاء: ١٢.

(٢) رياض السّالكين: ٤٩٠/٢.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ٥٩٤/٣.

(٤) معاني الأخبار: ١٧٤.

الكاشانيّ في شرحه على منازل السّائرين:

١- الخروج من تبعات المعاصي والآثام سواء كانت بين العبد وبين ربّه، أو بينه وبين النّاس بالاستغفار بكلّ أبعاده ولوازمه وموجباته لإصلاح ما فسد من إيمانه، ونيّته، وعمله؛ ليتحقّق له ما أراده من إصلاح وتغيير في مسيرته وكدحه إلى الله تعالى.

٢- التّوجّع للعثرات من خلال النّدم، والحزن، والتّألّم، والبكاء لما فرط منه من مخالفات شرعيّة هذا في معالجة أحواله، ثمّ لمّا يرى مخالفات الآخرين وخطأهم ينبعث منه الإشفاق لهم، والتّألّم لما وقعوا فيه، والسّعي لوعظهم وهدايتهم، وإرجاعهم إلى الله بالدّعاء لهم، والعفو عن تقصيرهم بحقّه، ومقابلة إساءتهم بالإحسان إليهم.

٣- استدراك ما فات من عمره بالقصور وقضاء ما ضيّع من الفرائض الإلهيّة من صوم وصلاة وزكاة[1].

٤- اسْتِغْفارُ رَغْبَةٍ:

الرَّغبة في معاجم اللّغة جاءت بمعان عديدة، ولكنّ مؤدّاها واحد، وأصل الرَّغبة السّعة في الشَّيء، «يقال رَغُبَ الشَّيء اتَّسع، وحوض رغيب، وفلانٌ رغيب الجوف، وفرس رغيب العدو، والرَّغبة والرَّغْبُ والرَّغْبى السَّعة في الإرادة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2]،

(١) ينظر: شرح منازل السّائرين: ١٧٨-١٨٢.

(٢) الأنبياء: ٩٠.

فإذا قيل رَغبَ فيه وإليه يقتضي الحرصَ عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[(١)]، وإذا قيل رَغبَ عنه اقتضى صرف الرَّغبة عنه، والزُّهد فيه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾[(٢)]، ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى﴾[(٣)]»[(٤)].

والرَّغبة: الميل إلى الشَّيء، تقول: «رَغبْتُ في الشَّيء رَغَباً ورَغْبةً ورغبى إذا ملْتُ إليه، ورغبتُ عنه إذا صددتَ عنه... والشيء مرغوب عنه مكروه، ومرغوبٌ فيه مرادٌ»[(٥)].

والرّغبة: إرادة الشَّيء، تقول: «رغبتُ في الشيء إذا أردتَه... ورغبتُ عن الشَّيء إذا لم تُرِدْهُ وزَهدتَ فيه»[(٦)].

وقال ابن فارس: «الرّاء والغين والباء أصلان: أحدهما: طلبٌ لشيء والآخر سعةٌ في شيء، فالأوّل الرّغبة في الشّيء: الإرادة له، رغبتُ في الشَّيء، فإذا لم ترده قلتَ رغبتُ عنه»[(٧)].

---

(١) التّوبة: ٥٩.

(٢) البقرة: ١٣٠.

(٣) مريم: ٤٦.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٧٩، (رغب).

(٥) كتاب جمهرة اللّغة: ٣٢٠/١، (رغب).

(٦) الصّحاح: ١٣٧/١، (رغب).

(٧) معجم مقاييس اللّغة: ٤١٥/٢، (رغب).

وتأتي الرَّغبة بمعنى المحبّة لما فيه للنّفس من منفعة، ورغب فيه ضدّ رغب عنه، فالرّغبة، والمحبة، والإرادة نظائر، وبينهما فرق، ونقيض الرَّغبة الرَّهبة، ونقيض المحبّة البغض، ونقيض الإرادة الكراهية[1].

وخلاصة الكلام: الرَّغبة هي الميل الأكيد، والإرادة الجادّة، والمحبّة العميقة، وهي قبول أو إعراض، فالرَّغبة في الشَّيء إرادته، والرَّغبة عنه رفضه أو عدم إرادته، كما أنَّها تعبير عن سعة الشَّيء وهي مناقضة للرَّهبة، جاء في الحديث: «**لا تَجْتَمعُ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ في قَلْبٍ إلا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»[2].

فالرَّغبة: «هي السّؤال والطَّلب، والرّهبة هي الخوف»[3].

ومن خلال المعاني المتقدّمة للرَّغبة يتّضح لنا أنَّ (**اسْتغْفارَ الرَّغْبَة**) هو الميل الأكيد، والإرادة الجادّة في الإقبال على الله تعالى، والمحبّة والشَّوق لنيل مغفرته، ورحمته، ورضوانه، بشعور وإحساس يستقطب كيان الإنسان بصورة مطلقة، لساناً وقلباً وجوارحاً، مقبلاً على الله بإخلاص وتجرّد عمّا سواه طلباً لغفرانه ورحمته ورضوانه..

٥- اسْتِغْفارُ رَهْبَةٍ:

الرّهبة: الخوف والفزع «مع تحرّز واضطراب، قال: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ

---

(١) ينظر: التّبيان في تفسير القرآن: ٤٦٨/١.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢٠٩/١.

(٣) مجمع البحرين: ٧١/٢، (رغب).

رَهۡبَةً ﴾[(١)]»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ ﴾[(٣)].

و«الرَّهبة، والخشية، والمخافة نظائر، وضدّها الرَّغبة... والفرق بين الخوف والرَّهبة أنَّ الخوف هو شكٌّ في أنَّ الضَّرر يقع أم لا؟ والرّهبة معها العلم بأنَّ الضَّرر واقع عند شرط، فإن لم يحصل ذلك الشّرط، لم يقع»[(٤)].

وقال أبو هلال العسكريّ: «الفرق بين الخوف والرّهبة: أنَّ الرَّهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثمّ قيل للرّاهب راهب؛ لأنّه يديم الخوف... وقال عليّ بن عيسى: الرّهبة خوف يقع على شريطة لا مخافة، والشّاهد أنَّ نقيضها الرَّغبة، وهي السَّلامة من المخاوف مع حصول فائدة، والخوف مع الشّكّ بوقوع الضّرر، والرّهبة مع العلم به يقع على شريطة كذا، وإن لم تكن تلك الشَّريطة لم تقع»[(٥)].

وفرّق بعض العارفين بينهما، فقال: «الخوف: هو توقّع الوعيد، وهو سوط الله يُقوّم به الشّاردين عن بابه، ويَسير بهم على صراطه حتّى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رشده... [وأمّا] الرَّهبة: هي انصباب إلى وجهة

---

(١) الحشر: ١٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٨٦، (رهب).

(٣) الأنفال: ٦٠.

(٤) التّبيان في تفسير القرآن: ١/١٨٤.

(٥) الفروق اللّغويّة: ٢٠٠-٢٠١

الهرب، بل هي الهرب»[١]، فصاحبها يهرب أبداً؛ لتوقّع العقوبة.

وقال صدر المتألّهين: «معنى «الرَّهبة» هو الخوف والخشية، وهي حالة تحدث في القلب من قبيل الخواطر، وكذا الرَّجاء، والمقدور للعبد مقدّماتهما؛ والخوف عند العلماء على ظنّ مكروه تناله، والخشية نحوه، لكنَّ الخشية تقتضي ضرباً من الاستعظام والمهابة، وضدّ الخوف الجرأة، لكن قد يقابل بالأمن، فيقال: «خائف وآمن» «خوفٌ وأمن»؛ لأنّ الأمن يوجب الجرأة على الله، فبالحقيقة الجرأة تضادّه»[٢].

وقد تتلازم الرَّغبة والرَّهبة في بعض النّفوس الشّديدة التّعلّق بالله تعالى، فمع مسارعتهم إلى الخيرات فهم يعيشون بتوازن بين الخوف والرّجاء كما وصف تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾[٣]، أي بمقدار ما يرغبون في رحمة الله يرهبون عذابه، قال تعالى: ﴿**وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾[٤].

التَّرْهيبُ مِنَ اللهِ تَرْبِيَةٌ لِلنَّفْسِ وَتَزْكِيَتُها:

إنَّ المؤمن بالله واليوم الآخر حين يمتثل لأمر الله تعالى، فيقف بين يديه ذاكراً له بخشوع، وخضوع، وتضرع لا بدَّ له من أن يستحضر في

---

(١) رياض السّالكين: ١٢٧/٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم: ٢٠٢/٣.

(٣) الأنبياء: ٩٠.

(٤) الأعراف: ٥٦.

عقله وقلبه عظمة الله في جلاله، وجماله، وكماله، وقدرته، وعلمه، وهيمنته، كلّ ذلك على نحو الإطلاق، وهذا شأن العلماء العارفين بالله من أصحاب القلوب السَّليمة، والمعرفة الخالصة لله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[١]؛ ولذا سُمّي خوفُهم هذا (خوف الجلال)، وهو مقام العارفين الَّذي «لا يزول عن قلب أحد من المخلوقين، سواء كان مَلَكاً مقرّباً، أو نبيّاً مرسلاً؛ وذلك لأنّه تعالى غنيٌّ لذاته عن كلّ الموجودات»[٢]، وهذا الخوف يتناسب تناسباً طرديّاً مع المعرفة، فـ«كلّ من كان أعرف بجلال الله كان هذا الخوف في قلبه أكمل»[٣].

هذا من جانب، ومن جانب آخر يستحضر ضآلة نفسه، وحقارتها، وفقرها واحتياجها، ومحدوديّتها، وخضوعها للشّروط الطَّبيعيّة الَّتي إن فقدت لحظة توقّفت عن الحياة كما لو انقطع عنه الهواء لحظة، وبين هذا وذاك يتذكّر ما اقترف من ذنوب ومعاصٍ ومخالفات شرعيّة، وقلّة طاعته، ومعرفته، وعبادته، مع قصر عمره، وقلة أعمال البرّ والإحسان في مسيرة حياته... وهنا قد تحدث في ذهنه مقارنة بين نِعم الله الَّتي أفاضها عليه -الَّتي لا تعد ولا تحصى -، وبين هزالة معرفته، وعبادته، وطاعته لله تعالى، وحينئذٍ يقف بين مخافتين، بين عمر قد مضى بما فيه من قصور

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) التّفسير الكبير: ١٢٢/١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٧/١٥.

وتقصير ومعاصٍ وآثام[١]، وبين أجل قد بقي لا يدري ما هي عاقبة أمره فيه؛ لذلك تصيبه الرّهبة والخوف ممّا هو فيه، وهذا النّوع من التَّفكير يشدّ الإنسان إلى ربّه المتعال، فلا ينساه تعالى، وإنَّما يكون في أغلب أوقاته مستغرقاً بعظمة الله وجلاله، ذاكراً لله في قلبه ولسانه، وجميع جوارحه في جميع أحواله، فلا يرى نعمة إلا وذكر الله، ولا يمرّ بشدّة إلا وتعلّق قلبه بالله.. وهكذا يكون مستحضراً لرقابة الله، وهيمنته، ومحاسبته في كلّ نفس يتنفّسه، وفي كلّ خطوة يخطوها، وفي كلّ لقمة يتناولها.

ولتركيز هذه الحال وجدنا أن الرّسول الأعظم ﷺ منادياً للنّاس يثير فيهم هذا النّوع من التفكير؛ ليصعّد فيها روح التّكامل الرّوحيّ والفكريّ، فيقول:

«أَيُّها النّاسُ، إنَّ لَكُمْ مَعالِمَ، فَانْتَهوا إلى مَعالِمِكُمْ، وَإنَّ لَكُمْ نهايَةً، فَانْتَهوا إلى نِهايَتِكُمْ، أَلا إنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ بَيْنَ مَخافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ[٢] قَدْ مَضى لا يَدْري ما اللهُ صانِعٌ فيهِ، وبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْري ما اللهُ قاضٍ فيهِ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ

---

(١) الفرق بين المعصية والإثم أنَّ النّظر في المعصية إلى جهة عصيان الأمر وخلاف التّكليف، وفي الإثم إلى جهة القصور والبطء في الامتثال والاستجابة لأمر الله، ينظر: التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٣/٣٦٠.

(٢) قال الرّاغب: «يقال للمدّة المضروبة لحياة الإنسان (أجل)»، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٢، (أجل).

دُنْياهُ لآخرَته، وَفي الشَّبيبَة قَبْلَ الْكبَر، وَفي الْحَياة قَبْلَ الْمَمات، فَوَالَّذي نَفْسُ مُحمَّد بيده، ما بَعْدَ الدُّنْيا منْ مُسْتَعْتَب[1]**، وَما بَعْدَها منْ دار إلا الْجَنَّةُ أَو النّار»**[2].

وعن أبي عَبد الله الصّادق عليه السلام قال: «**الْمُؤْمنُ بَيْنَ مَخافَتَيْن: ذَنْبٌ قَدْ مَضى لا يَدْري ما صَنَعَ اللهُ فيه، وَعُمرٌ قَدْ بَقيَ لا يَدْري ما يَكْتَسبُ فيه منَ الْمَهالك، فَهُوَ لا يُصْبحُ إلا خائفاً، وَلا يُصْلحُهُ إلا الْخَوْفُ**»[3].

وهذا النوع من التفكير يفتح آفاق الإنسان الروحية، ويرسخ في عقله وقلبه تقصيره في العمل الصالح، فيرزقه الله الخوف والخشية منه تعالى، وإذا مَنَّ الله على الإنسان بهذا اللون من التفكير يصبح في مأمن من عذاب الله تعالى؛ لأنَّ الله عز وجل حين يهدي عبده لهذا المسلك يُشْعرُهُ بمقام ربه في عقله وقلبه، ويمن عليه بواعظ من نفسه لنفسه، يقول تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ**﴾[4].

---

(١) مُسْتَعْتَب – بفتح التّاءين – طلب العتبى، أي الرَّضا من الله بالأعمال النافعة، والمستَعتَب المسترضى، ويقال أيضاً: استعتبه أناله العتبى وهي الرّضى والإقالة.

(٢) الكافي: ٣/١٨٠، ح/١٦٠٧.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٨١-١٨٢، ح/١٦١٠.

(٤) النّازعات: ٤٠-٤١.

جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾[١] أنَّه قال: «**مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَراهُ، ويَسْمَعُ ما يَقولُ، ويَعْلَمُ ما يَعْمَلُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَحْجُزُهُ ذلكَ عَنِ الْقَبيحِ من الأَعْمالِ، فَذلكَ الَّذي خافَ مَقامَ رَبِّهِ، وَنَهى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى**»[٢].

وَهذا المَقام مقام علميّ معرفيّ خَارج عن حدود الزَّمَان والمكان، يجده المؤمن في نفسه، فيحكم كلّ سلوكه الظّاهر والباطن، ويجعله يشعر بمعيّة الله أينما حلَّ، وأينما رحل، فالخوف من مقام الله إذن يصبح عنصر دفع لطاعة الله ومنع من الوقوع في المعاصي والآثام، قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**لا يَكونُ الْمُؤْمنُ مُؤْمناً حَتّى يَكونَ خائفاً راجياً، ولا يَكونُ خائفاً راجياً حَتّى يَكونَ عاملاً لما يَخافُ ويَرْجو**»[٣].

وخلاصة القول: إنَّ «الخوف مبدؤه تصوّر عظمة الخالق ووعيده وأهوال الآخرة، والتّصديق بها، وبحسب قوّة ذلك التّصوّر، وهذا التَّصديق يكون قوّة الخوف وشدّته، وهي مطلوبة ما لم تبلغ إلى حدّ القنوط، وبعبارة أخرى: الخوف تألّم النَّفس من المكروه المنتظر، والعقاب المتوقّع، بسبب احتمال فعل المنهيّات، وترك الطّاعات، والخشية حالة نفسانيّة تنشأ عن الشُّعور بعظمة الرّبّ وهيبته، وخوف

---

(١) الرَّحمن: ٤٦.

(٢) الكافي: ١٨١/٣، ح/١٦٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٨١/٣، ح/١٦٠٩.

الحجب عنه، وهذه الحالة لا تحصل إلا لمن اطّلع على جلال الكبرياء وذاق لذّة القرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]»[2].

وتتفاوت مراتب الخوف في النّاس بتفاوت معرفتهم بالله تعالى، فكلّما ارتفع مستوى معرفة الإنسان ازداد خوفه من الله، وتعمّق في قلبه، وحَكَم سلوكه، وتجلّى في شخصيّته، وازداد استغفاره وندمه على معاصيه، حتّى قيل: إنَّ «أنواع الخوف خمسة: خوف، وخشية، ووجل، ورهبة، وهيبة. فالخوف للعاصين، والخشية للعالمين، والوجل للمخبتين، والرهبة للعابدين، والهيبة للعارفين؛ أمّا الخوف فلأجل الذّنوب، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[3]؛ والخشية لأجل رؤية التّقصير، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[4]؛ وأمّا الوجل فلأجل ترك الخدمة قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[5]؛ والرَّهبة لرؤية التّقصير، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ﴾[6]؛ والهيبة لأجل شهادة الحقّ عند كشف الأسرار - أسرار

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ٢٢٥/٣.

(٣) الرَّحمن: ٤٦.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) الأنفال: ٢.

(٦) الأنبياء: ٩٠.

العارفين – قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[١]»[٢].

وما يؤيّد صحّة هذا التّقسيم أنَّ كلّ نوع من أنواع الخوف دُعِمَ بشاهد قرآنيّ، وهذا يؤكّد لنا أهمّيّة هذا الموضوع، ومدى تأثيره في تهذيب النّفس وتقويم السّلوك، وبناء الشّخصيّة الرّساليّة، ووضعها على الصّراط المستقيم للكدح إلى الله طلباً لرضوانه.

وعلى كلّ حال يتّضح لنا من خلال ما تقدّم من بيان معنى (استغفار رهبة) أنَّ العارف بالله المتفقّه بأحكامه عندما يقف في محراب عبادته مستغفراً ربّه لا بدَّ من أن تعتريه رهبة شديدة تستقطب كلّ كيانه النَّفسيّ والبدنيّ والفكريّ والعاطفيّ، وتهزّه من أعماقه؛ لتنفض عنه أدران الذّنوب، وآثار مساوئ الأخلاق، وتوقظ الضّمير، وتثير دفائن العقل، لتريه آيات الله في نفسه وفي الآفاق، وتعيده إلى فطرته الَّتي فطر الله النّاس عليها؛ ليدخل في ركب ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣]، فهؤلاء هم الَّذين ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤]، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[٥]، وهؤلاء هم الَّذين مَنَّ اللهُ عليهم بهداه،

---

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) كتاب الخصال: ٢٨١-٢٨٢.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) النّحل: ٥٠.

(٥) الإسراء: ١٠٩.

فاجتباهم لدينه، الَّذين ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[١].

وأصدق مصاديق هذا المنهج السّلوكيّ إلى الله تعالى، هو الرَّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الطّاهرون عليهم السلام فقد كانوا مع كلّ ما بذلوه في سبيل الله من جهد وجهاد في الدَّعوة إلى الله لنشر رسالته، وهداية النّاس إليها، وما لاقوه من معاناة ومرارات من طغاة عصورهم، وما بذلوه من جهد وجهاد وما فعلوه من معروف وإحسان لجميع من عايشهم وآثروهم على أنفسهم، مع ذلك كلّه كانوا يقولون: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[٢].

فالخوف، والخشية، والتّوسّل، والضّراعة، ومناجاة الله تعالى هو سلاحهم وديدنهم في مواجهة الشَّدائد والمحن، ولذا يقف الرَّسول صلّى الله عليه وآله رافعاً شكواه وآهاته إلى الله في أحرج المواقف، والمحن حين أُخْرِجَ من الطّائف، وقد «أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه، ويصيحون به، حتّى اجتمع عليه النّاس... [و]قعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بين صفَّيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه... [و]كان إذا أذلقته[٣] الحجارة

(١) مريم: ٥٨.

(٢) الإنسان: ١٠.

(٣) أذلقته: آلمته وبلغت منه مبلغ الجهد، «ومعنى الإذلاق أن يبلغ منه الجهد حتّى يقلق ويتضوّر»، تهذيب اللّغة: ٧١/٩، (ذلق).

قعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون؛ وقال ابن سعد: وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاجاً... فخلص منهم، ورجلاه تسيلان دماً، فعمد إلى حائط من حوائطهم، فاستظل في ظلّ حَبَلة[1]»[2]، حتّى قال ﷺ: «**ما كُنْتُ أَرْفَعُ قَدَماً، وَلا أَضَعُها إلا عَلى حَجَر**»[3].

وهنا يرفع طرفه، قائلاً: «**اللّهُمَّ، إلَيْكَ أَشْكو ضَعْفَ قُوَّتي، وَقِلَّةَ حيلَتي، وَهَواني عَلى النّاسِ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بَعيد يَتَجَهَّمُني[4]؟ أَمْ إلى عَدُوّ مَلَّكْتَهُ أَمْري؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا أُبالي، وَلكِنَّ عافيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لي، أَعوذُ بِنورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبى حَتّى تَرْضى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ**»[5].

وفي معركة بدر لمّا نظر ﷺ «إلى كثرة عدد المشركين، وقلّة

---

(١) الحَبَلة: شجرة العنب، أو قضبانها.

(٢) عيون الأثر: ٢٣٢/١.

(٣) تاريخ اليعقوبيّ: ٣٦/٢.

(٤) تجهّمه: استقبله بوجه كريه.

(٥) ابن هشام، السّيرة النّبويّة: ٣٣/٢-٣٤.

عدد المسلمين استقبل القبلة، وقال: "**اللّهمَّ، أَنْجزْ لي ما وَعَدْتني، اللّهمَّ، إنْ تَهْلَكْ هذه الْعصابَةَ لا تُعْبَدْ في الأَرْضِ**"، فما زال يهتف ربّه مادّاً يديه، حتّى سقط رداؤه من منكبه، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**﴾[1] الآية»[2].

ومع عصمته وطهارته وغفران ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخّر كان ﷺ «**يَسْتَغْفرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ يَومٍ سَبْعين مرَّةً**»[3].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنَّ رَسولَ الله ﷺ كانَ يَتوبُ إِلى الله، ويَسْتَغْفرُ في كُلِّ يومٍ ولَيْلَةٍ مائةَ مَرَّةٍ منْ غَيْر ذَنْبٍ**»[4].

بل كما يؤكّد كتّاب سيرته المشرَّفة أنَّه ﷺ ما كان يقوم ولا يقعد إلا على ذكر الله، فعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنَّ رَسولَ الله ﷺ كانَ لا يَقومُ منْ مَجْلسٍ - وَإنْ خَفَّ - حَتّى يَسْتَغْفرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَمْساً وَعشْرين مَرَّةً**»[5].

وهذا ديدنه في ليله ونهاره، روى أبو بصير عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**كانَ رَسولُ الله ﷺ عنْدَ عائشَةَ ذاتَ لَيْلَةٍ، فَقامَ**

---

(١) الأنفال: ٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢١/١٩.

(٣) الكافي: ٣٨٠/٤، ح/٣٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٢/٤، ح/٣٠١٣.

(٥) المصدر نفسه: ٣٧٩/٤، ح/٣٢٢٤.

يتنفَّل، فاستيقظت عائشة، فضربت بيدها، فلم تجده، فظنَّت أنَّه قد قام إلى جاريتها، فقامت تطوف عليه، فوطئت عنقه ﷺ وهو ساجدٌ باك، يقول: "سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء إليك بالنِّعم، وأعترف لك بالذَّنب العظيم، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي؛ إنَّه لا يغفر الذَّنب العظيم إلا أنت، أعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ برحمتك من نقمتك، وأعوذ بك منك، لا أبلغ مدحك، والثَّناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أستغفرك وأتوب إليك"»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ في بيت أمّ سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش، فدخلها من ذلك ما يدخل النِّساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتّى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم، رافع يديه يبكي، وهو يقول:

اللّهمَّ، لا تنزع منّي صالح ما أعطيتني أبداً، اللّهمَّ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، اللّهمَّ، لا تشمت بي عدوّاً ولا حاسداً أبداً، اللّهمَّ، ولا تردَّني في سوء استنقذتني منه أبداً».

قال: «فانصرفت أمُّ سلمة تبكي، حتّى انصرف رسول الله ﷺ لبكائها، فقال لها: ما يبكيك يا أمَّ سلمة؟ فقالت: بأبي أنت

---

(١) الكافي: ١٧٨/٦، ح/٥٠٣٥.

وَأُمّي يا رَسولَ الله، ولَمَ لا أَبْكي وأَنْتَ بالْمَكان الَّذي أَنْتَ به منَ الله، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ منْ ذَنْبك وَما تَأَخَّر، تَسْأَلُه أَنْ لا يُشْمت بكَ عَدُوّاً أَبَداً وَلا حاسداً، وأَنْ لا يَرُدَّكَ في سوء اسْتَنْقَذَكَ منْهُ أَبَداً وأَنْ لا يَنْزِعَ عَنْكَ صالحَ ما أَعْطاكَ أَبَداً، وأَنْ لا يَكلَكَ إلى نَفْسكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَداً، فَقالَ: يا أُمَّ سَلَمَةَ، وَما يُؤْمنُني، وَإنَّما وَكَلَ اللهُ يونُسَ بْنَ مَتّى إلى نَفْسه طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَكانَ منْهُ ما كانَ»[1].

لقد كان صلى الله عليه وآله شديد الخشية من الله تعالى، حتّى أنَّه «**كانَ يَبْكي صلى الله عليه وآله حَتّى يَبْتَلَّ مُصَلاه خَشْيَةً منَ الله عَزَّ وَجَلَّ منْ غَيْر جُرْمٍ**»[2].

وفي رواية كان صلى الله عليه وآله «يبكي حتّى يغشى عليه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك، وما تأخّر؟ قال: **أَفَلا أَكونُ عَبْداً شَكوراً**»[3].

ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله أنَّه «كان إذا صلّى سُمِعَ لصدره أزيز كأزيز المرجل[4] من الهيبة»[5].

---

(١) تفسير القمّيّ: ٢/٦٦٤-٦٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٠/٤٥.

(٣) الخرائج والجرائح: ٢/٩١٧.

(٤) الأزيز: صوت القدر إذا غلى، أو صوت الرّعد.

(٥) كتاب الخصال: ٢٨٢.

وتروى الرّواية مثلها عن إبراهيم الخليل عليه السلام[١].

وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: «لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[٢]، اشتغل رسول الله صلى الله عليه وآله بذكر الله تعالى، حتّى قال الكفّار: إنَّه جُنَّ»[٣].

وعلى مسار رسول الله صلى الله عليه وآله ونهجه سار أهل بيته الطّاهرون، ولا نستطيع أن نستقصي ذلك؛ لئلا نخرج عن المنهج في هذا البحث، ولذلك نكتفي بذكر بعض المصاديق العباديّة لأهل البيت عليهم السلام في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده وحفيده زين العابدين عليه السلام.

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد ضرب المثل الأعلى في عبادة ربّه، خوفاً، وخشيةً، وخضوعاً، وضراعةً، وبكاءً، وتوسّلاً بالله تعالى حتّى أنَّه كان يجدّ في عبادة ربّه؛ أنساً لنفسه، واطمئناناً لقلبه، وإنعاشاً لروحه، قال الكاتب المصريّ عبّاس محمود العقّاد في بيان بعض جوانب شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام: «كان المسلم حقّ المسلم في عبادته، وفي علمه، وفي عمله، وفي قلبه وعقله، حتّى ليصحّ أن يقال: إنَّه طُبع على الإسلام فلم تزده المعرفة إلا ما يزيده التَّعليم على الطّباع.. كان عابداً يشتهي العبادة كأنّها رياضة تريحه، وليست أمراً مكتوباً عليه.. وكان يرى في كهولته

---

(١) ينظر: إرشاد القلوب: ٢٠٧/١.

(٢) الأحزاب: ٤١.

(٣) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ٢٩٦/٥، ح/٥٩٠٥.

وكأنّما جبهته ثفنة[١] بعير من إدمان السّجود»[٢].

ويؤيّد كلام العقّادَ هذا قوله عليه السلام: «**ما أَهَمَّني ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتّى أُصَلّي رَكْعَتَيْنِ، وَأَسْأَلَ اللهَ الْعافِيَةَ**»[٣].

«وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا قال: ﴿**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾[٤] يتغيّر وجهه، ويصفرّ لونه، فيعرف ذلك في وجهه من خيفة الله تعالى»[٥].

والمعنى واضح أن قوَّة عليّ عليه السلام البدنيّة والرّوحيّة مستمدّة من خلال لجوئه المطلق إلى الله تعالى، واستمداد القوّة منه دون سواه، ويشهد لذلك ما جاء في رسالته إلى سهل بن حنيف:

«**وَاللهِ ما قَلَعْتُ بابَ خَيْبَرَ، وَرَمَيْتُ بِهِ خَلْفَ ظَهْري أَرْبَعينَ ذِراعاً بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، وَلا حَرَكَةٍ غِذائِيَّةٍ، لكِنّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكوتِيَّةٍ،**

---

(١) الثّفنة: الرّكبة، والجزء من جسم الدّابّة تلقى به الأرض فيغلظ ويجمد، وقيل لعليّ بن الحسين: «ذو الثّفنات»؛ لأن أعضاء السّجود منه صارت كثفنة البعير من كثرة صلاته؛ المعجم الوسيط: ٩٧، (ثفن).

(٢) المجموعة الكاملة لعبّاس محمود العقّاد (عبقريّة علي): ٣٦/٢.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣٧، قصار الحكم: ٢٩٠.

(٤) الأنعام: ٧٩.

(٥) إرشاد القلوب: ٢٠٧/١.

وَنَفْسٍ بنورِ ربِّها مَضيَّة، وأَنا منْ أَحْمَدَ كَالضَّوْء منَ الضَّوْء[١]»[١].

(١) قال صبحي الصّالح: «يقول عليّ عليه السلام: "**وَأَنا منْ رَسول الله كَالْضَّوْء منَ الضَّوْء**" مشبّهاً نفسه - كما يوضّح ابن أبي الحديد - بالضَّوء الثّاني، ومشبّهاً رسول الله صلى الله عليه وآله بالضَّوء الأوّل ومنبع الأضواء عزَّ وجلَّ بالشَّمس الَّتي توجب الضَّوء الأوّل، فتصبح العبارة بعد التَّصحيف: "كالصّنو من الصّنو"، ويمسي معناها: "الصَّنوان النَّخلتان يجمعهما أصلٌ واحدٌ، فإنّما عليٌّ من جرثومة الرّسول"»، نهج البلاغة بتحقيق صبحي الصّالح: ٢٣.

وفي علل الشّرائع بيان رائع لطيف لهذه العبارة عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**أَلا تَرى أَنَّ عَليّاً عليه السلام قال: لَمّا عَلَوْتُ ظَهْرَ رَسول الله صلى الله عليه وآله شَرُفْتُ، وارْتَفَعْتُ حَتّى لَوْ شئْتُ أَنْ أَنالَ السَّماءَ لَنلْتُها، أَما عَلمْتَ أَنَّ الْمصْباحَ هُوَ الَّذي يهْتَدى به في الظُّلْمَة، وَانْبعاثُ فَرْعه منْ أَصْله، وقَدْ قالَ عَليٌّ عليه السلام: أَنا منْ أَحْمَدَ كالضَّوْء من الضَّوْء، أَما عَلمْتَ أَنَّ مُحَمَّداً وعَليّاً صلَواتُ الله عَلَيْهما كانا نوراً بَيْنَ يدَيِ الله عزَّ وَجَلَّ قَبْلَ خَلْق الْخَلْق بأَلْفي عامٍ، وأَنَّ الْمَلائكَةَ لَما رأَتْ ذلك النّور رأَتْ لَهُ أَصْلاً قَدْ تَشَعَّبَ منْهُ شعاعٌ لامعٌ، فَقالَتْ: إلهنا وَسَيِّدنا ما هذا النّورُ؟ فَأَوْحى اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى إلَيْهمْ: هذا نورٌ منْ نوري، أَصْلُهُ نَبوَّةٌ وفَرْعُهُ إمامَةٌ، أَمّا النُّبوَّةُ فَلمُحَمَّد عَبدي ورَسولي، وأَمّا الإمامَةُ فَلعَليّ حُجَّتي ووَلِيّي، ولَوْلاهُما ما خَلَقْتُ خَلْقي، أَما عَلمْتَ أَنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله رفَعَ يدَ عليٍّ عليه السلام بغَدير خُمٍّ حَتّى نَظَرَ النّاسُ إلى بَياض إبْطَيْهما، فَجعلَهُ مولى الْمُسْلمينَ وَإمامهمْ، وقَد احْتَملَ الْحسنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام يوْمَ حَظيرَة بَني النَّجّار، فَلَمّا قالَ لَه بعْضُ أَصْحابه: ناولْني أَحدَهُما يا رَسولَ الله، قال: نعْمَ الرّاكبان وأَبوهُما خَيْرٌ منْهما، وأَنَّهُ صلى الله عليه وآله كانَ يُصلّي بأَصْحابه، فَأَطالَ سَجْدَةً منْ سَجْداته، فلَمّا سَلَّمَ قيلَ لَهُ: يا رَسولَ الله، لَقَدْ أَطَلْتَ هذه السَّجْدَةَ؟ فَقالَ صلى الله عليه وآله: إنَّ ابْني ارْتَحَلَني، وكَرهْتُ أَنْ أُعاجلَهُ حَتّى يَنْزل،**

وحديثَ عبادة عليّ عليه السلام طويل عريض أعجز العباد أن يلحقوا بشيء منه أو يتصوّرونه، حتّى قال حفيده السّجّاد عليه السلام وهو من أشبهه في عبادته: «**مَنْ يَقْوى على عِبادَة عَلِيٍّ** عليه السلام»[٢]، يقول هذا، وهو من عُرف بعمق عبادته وشدّتها حتّى سمّي بزين العابدين وسيّد السّاجدين، إذن عبادة عليّ عليه السلام ليس لها شبيه إلا عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الحسن بن أبي الحسن الدّيلميّ:

«واعلم أنَّه إذا نظرت إلى العبادة وجدته أعبد النَّاس بعد رسول

وَإنَّما أَرادَ بذلكَ صلى الله عليه وآله رَفْعَهُمْ وتَشْريفَهُمْ، فَالنَّبيُّ صلى الله عليه وآله إمامٌ ونَبيٌّ، وعَليٌّ عليه السلام إمامٌ لَيْس بنَبيٍّ ولا رَسول، فَهُوَ غَيْرُ مُطيقٍ لحَمْلِ أَثْقالِ النُّبوَّة».

قال محمد بن حرب الهلاليّ: «فقلتُ له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: **إنَّكَ لأَهْلٌ للزِّيادَة، إنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله حمَلَ عَليّاً عليه السلام على ظَهْره، يُريدُ بذلكَ أنَّهُ أَبو وُلْده، وإمامُ الأَئمَّة منْ صُلْبه كَما حَوَّلَ رداءَهُ في صَلاة الاسْتسْقاء، وَأَرادَ أَنْ يعَلِّمَ أَصْحابَهُ بذلكَ أَنَّهُ قَدْ تَحَوَّلَ الْجَدْبُ خصْباً».**

قال: «قلتُ له: زدني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **احْتَمَلَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله عَليّاً عليه السلام يُريدُ بذلكَ أَنْ يعَلِّمَ قَوْمَهُ أَنَّهُ هوَ الَّذي يُخَفِّفُ عَنْ ظَهْرِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله ما عَلَيْه منَ الدِّين وَالْعدات وَالأَداء عَنْهُ منْ بَعْده»**

قال: «فقلتُ له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله زدني، فقال: **احْتَمَلَهُ لَيَعْلَمَ بذلكَ أَنَّهُ قَد احْتَمَلَهُ، وَما حَمَلَ إلا لأَنَّهُ مَعْصومٌ لا يَحْملُ وزْراً، فَتَكونُ أَفْعالُهُ عنْدَ النّاسِ حكْمَةً وَصَواباً»**، علل الشّرائع: ٢٤٦-٢٤٧.

(١) الشّيخ الصّدوق، الأمالي: ٣٠٧؛ وترتيب الأمالي: ٣٩١/٢، ح/٩١٣.

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١٤٢/٢.

الله ﷺ، منه تعلّم النّاسُ صلاةَ اللَّيل والتّهجّد والأدعية المأثورة، ولقد كان يُفرَش له بين الصّفّين والسّهام تتساقط حوله، وهو لا يلتفت عن ربّه، ولا يغيّر عادته، ولا يفتر عن عبادته؛ وكان إذا توجّه إلى الله تعالى توجّه بكلّيّته، وانقطع من الدّنيا نظره وما فيها، حتّى لا يبقى يدرك الألم؛ لأنّهم كانوا إذا أرادوا إخراج الحديد والنّشّاب من جسده الشّريف تركوه حتّى يصلّي، فإذا اشتغل بالصَّلاة، وأقبل على الله تعالى أخرجوا الحديد من جسده، ولم يحسّ به، فإذا فرغ من صلاته يرى ذلك، فيقول لولده الحسن عليه السلام: **إنْ هيَ إلا فعْلَتَكَ يا حَسَنُ**؛ ولم يترك صلاة اللّيل قطّ حتّى في ليلة الهرير، وكان عليه السلام يوماً في حرب صفّين مشتغلاً بالحرب والقتال وهو مع ذلك بين الصَّفَّين يراقب الشّمس، فقال له ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام: **أَنْظُرُ إلى الزَّوال حَتّى نُصَلِّيَ**، فقال له ابن عبّاس: وهل هذا وقت صلاة؟ إنَّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصَّلاة؟ فقال عليه السلام: **عَلى ما نُقاتِلُهُم؟ إنَّما نُقاتِلُهُم عَلى الصَّلاة**»[1].

وهذه الصَّورة أرفع من قدراتنا وتصوّراتنا المحدودة بحدود معرفتنا الهزيلة، ولذلك نكتفي بذكر مثالين:

الأوّل: وصف ضرار بن ضَمُرَة له في مجلس أعدى أعدائه معاوية حين قال لضرار صف لي عليّاً، فقال: «فأشهد لقد رأيتُهُ في بعض مواقفه،

---

(١) إرشاد القلوب: ٢/٢٢-٢٣.

وقد أرخى اللَّيل سدوله، وهو قائمٌ في محرابه، قابضٌ على لحيته، يتململ تململ السَّليم[١]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: **يا دُنْيا يا دُنْيا، إلَيْك عَنّي، أَبي تعرَّضْت؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْت! لا حانَ حينُك، هَيْهات، غُرّي غَيْري، لا حاجَةَ لي فيك، قَدْ طَلَّقْتُك ثَلاثاً لا رَجْعَةَ فيها، فَعَيْشُك قَصيرٌ، وَخَطَرُك يَسيرٌ، وأَمَلُك حَقيرٌ، آه مِنْ قِلَّة الزّاد، وَطول الطَّريقِ، وبُعْد السَّفَرِ، وعَظيمِ الْمَوْرِد**»[٢].

وفي حديث أبي الدّرداء[٣] مصداقٌ حيٌّ ناطق يدلّ على شدّة خوف أمير المؤمنين عليه السلام من الله، وخشيته له، وتضرّعه إليه تعالى، وبكاؤه صورة رائعة تهز أعماق القلوب، وتبيّن لنا مدى خوف أولياء الله وعباده الصّالحين من الله، وشدّة استغفارهم ورهبتهم وخشيتهم، قال عروة بن الزّبير: «كنّا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرّضوان، فقال أبو الدّرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقلّ القوم

---

(١) السّليم: الملدوغ.

(٢) نهج البلاغة: ٤٩٦-٤٩٧، قصار الحكم: ٧٢.

(٣) هو عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن قيس بن زيد، أبو الدّرداء الأنصاريّ الخزرجيّ، وهو مشهور بكنيته، وكان من أفاضل الصّحابة وفقهائهم وحكمائهم، تأخّر إسلامه، فلم يشهد بدراً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وقيل: إنَّه لم يشهد أحداً، وأوّل مشاهده الخندق، وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين سلمان الفارسيّ، وتوفّي قبل عثمان بسنتين، قيل: توفّي سنة ثلاث أو اثنتين وثلاثين بدمشق، وقيل غيره؛ ينظر: أسد الغابة: ٤/١٨-١٩.

مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: مَنْ؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا مُعْرِضٌ عنه بوجهه! ثمّ انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عُوَيْمر، لقد تكلّمتَ بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيتَ بها، فقال أبو الدَّرداء: يا قوم، إنّي قائل ما رأيت، وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا، شهدتُ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام: بشويحطات[1] النّجّار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممّن يليه، واستتر بمغيلات[2] النَّخل، فافتقدتُه، وبَعُدَ عليَّ مكانه، فقلتُ: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجيّ، وهو يقول:

"إلهي، كَمْ منْ موبقَة حَلُمْتَ عَنّي، فَقابلْتُها بنعْمَتك، وَكَمْ منْ جَريرَة تَكَرَّمْتَ عَنْ كَشْفها بكَرَمكَ، إلهي، إنْ طالَ في عصيانك عُمُري، وَعَظُمَ في الصُّحُف ذَنْبي، فَما أَنا مُؤَمِّلٌ غَيْرَ غُفْرانَك، وَلا أَنا براجٍ غَيْرَ رضْوانكَ".

فشغلني الصَّوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترتُ له، وأخملتُ الحركة، فركع ركعات في جوف اللَّيل الغابر، ثمّ فزع إلى الدّعاء، والبكاء، والبث[3]، والشَّكوى، فكان ممّا ناجى به الله أن قال:

---

(١) الشَّوحط: شجرٌ يتّخذ منه القسيّ.

(٢) المغيل: النّابت في الغيل والدّاخل فيه، والغيل: الشَّجر الكثير الملتفّ.

(٣) البثُّ أشدّ الحزن الَّذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثّه، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦.

"إلهي، أُفَكِّرُ في عَفْوِكَ، فَتَهونُ عَلَيَّ خَطيئَتي، ثُمَّ أَذْكُرُ الْعَظيمَ مِنْ أَخْذِكَ فَتَعْظُمُ عَلَيَّ بَلِيَّتي"، ثمّ قال: **"آه إِنْ أَنا قَرَأْتُ في الصُّحُفِ سَيِّئَةً أَنا ناسيها، وَأَنْتَ مُحْصيها، فَتَقولُ: خُذوهُ، فَيا لَهُ مِنْ مَأْخوذٍ لا تُنْجيهِ عَشيرَتُهُ، وَلا تَنْفَعُهُ قَبيلَتُهُ، يَرْحَمُهُ الْمَلأُ إِذا أُذِنَ فيهِ بِالنِّداءِ"**، ثمّ قال: **"آه مِنْ نارٍ تُنْضِجُ الأَكْبادَ وَالْكُلى[1]، آه مِنْ نارٍ نَزّاعَةٍ لِلشَّوى[2]، آه مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ مُلْهِباتِ لَظى[3]"**، قال: ثمَّ أنعم[4] في البكاء، فلم أسمع له حسّاً، ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السّهر، أوقظه لصلاة الفجر.

قال أبو الدَّرداء: فأتيتُه فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرّك وزويته[5] فلم ينزو، فقلتُ: إنّا لله، وإنا إليه راجعون، مات والله عليّ ابن أبي طالب، قال: فأتيتُ منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: **يا أَبا الدَّرْداء، ما كانَ مِنْ شَأْنِه، وَمِنْ قِصَّتِه؟** فأخبرتها الخبر، فقالت: **هِيَ وَاللهِ - يا أَبا الدَّرْداءِ - الْغَشْيَةُ الَّتي تَأْخُذُهُ مِنْ خَشْيَةِ**

---

(١) الكُلى - بضمّ الكاف وفتح اللام -: جمع الكلية، واحدة الكليتين، وهما غدّتان يمنى ويسرى، لازقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين.

(٢) الشّوى: جمع شواة، وهي جلدة الرَّأس، والشَّوى أيضاً: الأطراف.

(٣) اللَّظى: لهب النّار الخالص، لا دخان فيه، ولظى النّار لهيبها.

(٤) أنعم: أي أطال البكاء.

(٥) زوى الشَّيء: جمعه وقبضه.

الله، ثمَّ أتوه بماء، فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إليَّ، وأنا أبكي، فقال: **ممَّ بُكاؤُكَ، يا أَبا الدَّرْداء؟** فقلتُ: ممّا أراه تنزله بنفسك، فقال:**يا أَبا الدَّرْداء، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَني، وَدُعي بي إلى الْحساب، وأَيْقَن أَهْلُ الْجَرائم بالْعَذاب، واَحْتَوَشَتْني**[1] **مَلائكَةٌ غلاظٌ وزَبانيَةٌ فظاظٌ**[2]**! فَوَقَفْتَ بيْن يديّ الْمَلك الْجَبّار، قَدْ أَسْلَمَني الأَحبّاء، ورَحمَني أَهْلُ الدُّنيا، لَكُنْتَ أَشَدَّ رَحْمَةً لي بيْن يدَي مَنْ لا تُخْفى عَلَيْه خافيَةٌ.**

فقال أبو الدّرداء: فوالله ما رأيتُ ذلك لأحد من أصحَابَ رسول الله ﷺ»[3].

هذا غيضٌ من فيض من عبادته عليه السلام، وخوفه، وخشيته، وذكره لله، وذوبانه في حبّه وطاعته، وتضحيته في سبيل إعلاء كلمته تعالى، وعلى منهجه هذا سار أولاده وأوصياؤه عليهم السلام، وجسّدوه عملياً حتّى كان ظاهراً في سلوكهم، نذكر من ذلك الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان شديد الخوف من الله حتّى قيل له عليه السلام: «ما أعظم خوفك من ربّك؟»، فقال عليه السلام: «**لا يَأْمَن يوْمَ الْقيامَة إلا مَنْ خافَ اللهَ في الدُّنيا**»[4].

---

(١) واحتوشتني: أي أحدقتني وجعلتني في وسطهم.

(٢) رجل فظّ: غليظ الجانب، سيّئ الخلق، يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ آل عمران: ١٥٩.

(٣) الشّيخ الصّدوق، الأمالي: ٦٧-٦٨؛ وترتيب الأمالي: ٥٤٤/٢-٥٤٧، ح/٢٢٠٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٧٧/١٠.

ومع شدّة خوفه وخشيته هذه نراه يدعو الله تعالى أن يزيده من ذلك، فيقول في دعاء عرفة: «**اللّهمَّ، اجْعَلْني أَخْشاكَ حَتّى كَأَنّي أَراكَ**»[1].

وإنَّما طلب ذلك؛ شعوراً منه بالتَّقصير أمام الله تعالى؛ لأنَّ المعصوم مع مقامه الرّفيع في العلم، والمعرفة، والعبادة إلا أنَّه في دائرة العصمة يشعر بالتّقصير[2] أمام الله تعالى؛ لأنَّ العارف بالله كلّما ازداد معرفةً بالله ازداد استصغاراً لأعماله، ودعاؤه هنا جاء «طلباً لتوفيق الوصول إلى مقام المشاهدة، وهو مقام رفيع لا يبلغه إلا خاصّ الخواصّ كالأنبياء والأوصياء والأولياء، وغيرهم ممّن أخذت باعه العناية الأزليّة»[3].

وأمّا الإمام السّجّاد عليه السلام؛ فقد ضرب المثل الأعلى في عبادته تضرّعاً وخشيةً وخوفاً من الله حتّى شبّهه حفيده الإمام الصّادق عليه السلام بجدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قائلاً: «**وَما أَشْبَهَهُ مِنْ وُلْدِه، وَلا أَهْلِ بَيْتِه أَحَدٌ أَقْرَبُ شَبَهاً بِهِ فِي لِباسِهِ وفِقْهِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام**»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٣١٧/٩٧.

(٢) رُوِيَ عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنَّه قال لبعض ولده: «**يا بُنَيَّ، عَلَيْكَ بِالْجِدِّ، لا تُخْرِجَنَّ نَفْسَكَ مِنْ حَدِّ التَّقْصِيرِ فِي عِبادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطاعَتِه؛ فَإِنَّ اللهَ لا يُعْبَدُ حَقَّ عِبادَتِه**»؛ الكافي: ١٨٥/٣، ح/١٦١٦.

(٣) المولى المازندرانيّ، شرح أصول الكافي: ٤٥٠/١٠.

(٤) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١٤٢/٢.

ولشدّة مثابرته في العبادة تخوَّف عليه أهل بيته وأصحابه من شدّة الجهد في العبادة، روى الشَّيخ المفيد رحمه الله عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام:

«ولَقَدْ دَخَلَ أَبو جَعْفَر - ابْنُه - عليهما السلام، فَإذا هُو قَدْ بلَغَ منْ الْعبادَة ما لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ، فرآهُ قَد اصْفَرَّ لَوْنُهُ من السَّهَر، ورَمَضَتْ[1] عَيْناهُ من الْبكاء، ودبرتْ جَبْهَتُهُ، وَانْخرمَ[2] أَنْفُهُ من السُّجود، وورمتْ ساقاهُ وقَدَماهُ من الْقيامِ في الصَّلاة، فقالَ أَبو جَعْفَرَ عليه السلام: فَلَمْ أَمْلكْ حين رَأَيْتُهُ بتلْك الْحال الْبكاء، فَبَكَيْت رحْمَةً لَهُ، وإذا هُوَ يفكِّر، فَالْتَفَتَ إلَيَّ بَعْدَ هُنَيْئَةٍ منْ دُخولي، فَقالَ: يا بُنَيَّ، أَعْطني بَعْضَ تلْكَ الصُّحُف الَّتي فيها عبادَةُ عَليٍّ بْنِ أَبي طالب عليه السلام، فَأَعْطَيْتُهُ، فقرأَ فيها شَيْئاً يَسيراً، ثُمَّ تركَها منْ يَده تَضَجُّراً، وقَالَ: مَنْ يَقْوى على عبادَة عَليٍّ عليه السلام؟!»[3].

ويروى: «أتت فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب عليهم السلام إلى جابر بن عبد الله، فقالت له: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، إنَّ لنا عليكم حقوقاً، ومن حقّنا عليكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تُذَكّروه الله، وتدعوه

---

(١) رمضت عينه: حميت حتّى كادت أن تحترق.

(٢) يقال: الانخرام: انشقاق وترة الأنف، وفى الكلام كناية عن شدة المشقة، انخرم أنفه: أي انشقت وترته.

(٣) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١٤٢/٢.

إلى البُقيا[١] على نفسه، وهذا عليّ بن الحسين عليهما السلام بقيّة أبيه الحسين عليه السلام قد انخرم أنفه، ونقبت جبهته[٢] وركبتاه وراحتاه، أذاب نفسه في العبادة؛ فأتى جابر إلى بابه واستأذن، فلمّا دخل عليه وجده في محرابه، قد أنضبته [أنضته][٣] العبادة، فنهض عليٌّ عليه السلام، فسأله عن حاله سؤالاً حفيّاً[٤] أجلسه بجنبه، ثمَّ أقبل جابر يقول: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أما علمت أنَّ الله خلق الجنّة لكم ولمن أحبَّكم، وخلق النّار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الَّذي كلّفته نفسك؟!

فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: **يا صاحبَ رَسول الله** صلى الله عليه وآله، **أَما عَلمْتَ أَنَّ جَدّي رَسولُ الله** صلى الله عليه وآله **قَدْ غَفَرَ اللهُ ما تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه وَما تَأَخَّرَ، فَلَمْ يَدَع الاجْتهادَ، وتَعَبَّدَ هُوَ بأَبي وأُمّي حَتّى انْتَفَخَ السّاقُ وَوَرمَ الْقَدَمُ، وَقيلَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هذا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ منْ ذَنْبكَ وَما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أَفَلا أَكونُ عَبْداً شَكوراً.**

فلمّا نظر إليه جابر، وليس يغني فيه قولٌ، قال: يا ابْنَ رَسول الله، البقيا على نفسك؛ فإنَّك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف

---

(١) البقيا: من أبقيت عليه إبقاءً: إذا رحمته وأشفقت عليه.

(٢) أي انخرقت.

(٣) الإنضاء: الإبلاء ورجل أنضته العبادة أبلته وأهزلته.

(٤) يقال: حفي عنه: أكثر السؤال عن حاله، وفي المصدر: خفيّاً، وهو تصحيف.

اللأواء(١)، وبهم تستمسك السَّماء، فقال: **يا جابرُ، لا أَزالُ عَلى مِنْهاجِ أَبَوَيَّ مُؤْتَسِياً بِهِما حَتّى أَلْقاهُما.**

فأقبل جابر على من حضر، فقال لهم: ما أرى من أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين عليهما السلام إلا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، والله لذرّيّة عليّ بن الحسين عليهما السلام أفضل من ذرّيّة يوسف عليه السلام»(٢).

وروي: أنَّه كان «إذا توضّأ اصفرَّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الّذي يغشاك؟ فيقول: **أَتَدْرونَ لمَنْ أَتَأَهَّبُ لِلْقِيامِ بَيْنَ يَدَيْه**»(٣).

وكان من دعائه وهو ساجد: «**عُبَيْدُكَ بِفَنائِكَ، مِسْكينُكَ بِفَنائِكَ، فَقيرُكَ بِفَنائِكَ، سائِلُكَ بِفَنائِكَ**»(٤).

ومن شدّة خوفه وخشيته كان إذا لبّى بعد الإحرام غُشِيَ عليه، قال سفيان بن عُيَيْنة: «حجّ عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فلمّا أحرم، واستوت به راحلته اصفرّ لونه، ووقعت عليه الرّعدة، ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: ما لك لا تلبّي؟ فقال: **أَخْشى أَنْ أَقولَ لَبَّيْكَ، فَيَقولُ لي لا لَبَّيْكَ**، فقيل له: لا بدَّ من هذا، قال: فلمّا لبّى غُشِيَ عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه»(٥).

---

(١) اللأواء: الشّدّة، والضّيق، والمصيبة.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٥٨/١١-٥٩.

(٣) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١٤٢/٢-١٤٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٣/٢.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٨/٤١.

ومع هذا الجهد المتواصل بالعبادة والذّوبان في حبّ الله تعالى يشعر بأنّه لا زال مقصّراً بحقّه تعالى، ولم يؤدّ حقّه، فنجده في دعائه مثلاً، قائلاً:

«يا إلهي، لَوْ بَكَيْتُ إلَيْكَ حَتّى تَسْقُطَ أَشْفارُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتّى يَنْقَطِعَ صَوْتي، وَقُمْتُ لَكَ حَتّى تَتَنَشَّرَ قَدَماي، وركَعْتُ لَكَ حَتّى يَنْخَلِعَ صُلْبي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتاي، وَأَكَلْتُ تُرابَ الأَرْضِ طولَ عُمْري، وَشَرِبْتُ ماءَ الرَّمادِ[1] آخِرَ دَهْري، وَذَكَرْتُكَ في خِلالِ ذلِكَ حَتّى يَكِلَّ لِساني، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفي إلى آفاقِ السَّماءِ اسْتِحْياءً مِنْكَ... ما اسْتَوْجَبْتُ بِذلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ واحِدَةٍ مِنْ سَيِّئاتي»[2].

هذه الشّواهد كلّها تؤكّد لنا أهمّيّة الاستغفار في حياة الكادح إلى الله، فهي بمثابة غذاء للرّوح، وقوّة للعقل، وسلامة للقلب، وتهذيب للنّفس، وصمام أمان من الزّيغ والانحراف عن الصراط المستقيم.

٦- اسْتِغْفارُ طاعَةٍ:

الطّاعة لغةً: هي الانقياد، والموافقة، والاستجابة؛ لتنفيذ أمر الآمر،

---

(١) شربتُ ماء الرَّماد: أي الماء الآجن الكدر الّذي صار على لون الرّماد، وعَبَّرَ عنه بماء الرّماد مبالغةً، حتّى كأنَّ الّذي يراه يتوهّم أنَّه خُلِطَ بالرَّماد؛ الطّراز الأول: ٣٨٣/٥، (رمد).

(٢) الصَّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٧٠، دعاء: ١٦.

والانتهاء عن نواهيه، وقالوا: «ولا تكون الطّاعة إلا عن أمر كما أنَّ الجواب لا يكون إلا عن قول»[١].

وقال الرّاغب: «الطَّوع: الانقياد، ويضادّه الكره، قال: ﴿أَئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[٢]، ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٣]، والطّاعة مثله، لكنَّ أكثر ما تقال في الائتمار لما أُمِرَ، والارتسام فيما رُسِمَ»[٤].

وقال ابن فارس: «طاعه يطوعه إذا انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعه بمعنى طاعَ له، ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه»[٥].

وأمّا اصطلاحاً، فقد تعدّدت تعاريف الفقهاء في لفظها، واتّفقت في معناها، فقيل:

- هي موافقة الإرادة.
- هي فعل ما يثاب عليه توقّف على نيّة أو لا.
- هي فعل المأمورات ولو ندباً، وترك المنهيات ولو كراهة.
- هي امتثال الأمر والنَّهي.

---

(١) المصباح المنير: ٣٨٠، (طوع).

(٢) فصّلت: ١١.

(٣) آل عمران: ٨٣

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٢٨، (طوع).

(٥) معجم مقاييس اللّغة: ٤٣١/٣، (طوع).

- هي موافقة الأمر بامتثاله سواء أكان من الله أم من غيره، قال تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[(١)].

- هي الإتيان بالمأموريّة، والانتهاء عن المنهيّ عنه، والعصيان خلافه[(٢)].

وقد أوجز صاحب التّحقيق كلّ هذه الأقوال بعبارة رصينة بقوله: «العمل بما يقتضيه الأمر، والحكم مع رغبة، وخضوع، فله ثلاثة قيود: الرّغبة، والخضوع، والعمل على طبق الأمر؛ وإذا فقدت الرّغبة والتّمايل يصدق الكره، سواء حصل خضوع أو عمل أم لا»[(٣)].

بناءً على ما تقدَّم في معنى الطّاعة يكون معنى «**اسْتِغْفار طاعَة**» هو الاستجابة الواعية لأمر الله تعالى باستغفاره طلباً لعفوه وغفرانه على ما اقترف العبد من معاصٍ ومخالفات شرعيّة امتثالاً لأمره تعالى في دعوته لعباده على لسان نبيّه هود: ﴿ **وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** ﴾[(٤)]، وهي دعوة تستبطن الرّأفة والرّحمة بعد محو الذّنوب، والعفو عن ارتكاب المخالفات الشّرعيّة، ولأجل ذلك ترك تعالى لعباده باب الرّجوع إليه مفتوحاً وميُسَّراً ولُوجُهُ من خلال الاستغفار والتّوبة؛ ندماً

---

(١) النّساء: ٥٩.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة: ٤٢٠/٢-٤٢١.

(٣) التَّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٦٥/٧.

(٤) هود: ٩٠.

على ما فَرَط منهم من معاصٍ، وعزماً وتصميماً على عدم العودة لما وقعوا فيه من معاصٍ كما ورد في مناجاة التّائبين للإمام السّجّاد عليه السلام بقوله: «إلهي، أَنْتَ الَّذي فَتَحْتَ لعبادكَ باباً إلى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[1] فما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحه؟»[2].

والَدَّعوة الإلهيّة إلى الاستغفار لمن خالف شرعة الله تعالى واضحة جليّة في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله، يقول تعالى مخاطباً نبيّه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

وقوله تعالى بصيغة الأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[4].

---

(١) التّحريم: ٨.

(٢) الصَّحيفة السّجّاديّة الجامعة: ٤٠٢، مناجاة: ١٨٢.

(٣) الزّمر: ٥٣.

(٤) التّحريم: ٨.

والأمر نفسه ورد في السّنّة المشرّفة، فقد ورد عن الحذّاء، قال: «سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: **إنَّ اللهَ تَعالى أَشَدُّ فَرَحاً بتَوبَة عَبْده منْ رَجُلٍ أَضَلَّ راحلَتَهُ وَزادَهُ في لَيْلَة ظَلْماء، فَوجَدَها؛ فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحاً بتَوْبَة عَبْده منْ ذلكَ الرَّجُلِ براحلَته حينَ وَجَدَها**»[1].

وعَن ابْنِ الْقَدّاحِ، عَنْ أَبي عَبْد الله عليه السلام، قالَ: «**إنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَفْرَحُ بتَوْبَة عَبْده الْمُؤْمنِ إذا تاب، كَما يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بضالَّته إذا وَجَدَها**»[2].

والأعجب من ذلك أنَّ اقتراف الذّنب قد يكون سبباً في نيل رحمة الله من باب التَّوبة، فقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأبي ذرّ رحمه الله: «**يا أَبا ذَرّ، إنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنبُ الذَّنْبَ فَيَدْخُل به الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذلكَ بأَبي أَنْتَ وَأُمّي يا رَسولَ الله؟ قالَ: يَكونُ ذلكَ الذَّنْبُ نُصْبَ عَيْنَيْه تائباً منْهُ فارّاً إلى الله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ**»[3].

ولعلَّ السّرّ في ذلك أنَّ الله تعالى لمّا منح الإنسان عقلاً يأمر، وشهوات تضغط، والصّراع بين قوّتي العقل والنّفس قائم في حياة الإنسان على قدم وساق، بناءً على ذلك فإنَّ الإنسان في كثير من الأحيان واقع تحت ضغوط الشّهوات، وإغراء الشّيطان، وتسويل النّفس، وجاذبيّة زينة

(١) الكافي: ٢٣١/٤، ح/٢٩٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٤/٤، ح/٢٩٧٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ٥٨٥.

الدُّنيا، فالمعركة في داخله قائمة بين عقله وشهواته؛ لذا فهو معاناة متواصلة، ولذلك لا بدَّ من أن يقع في المخالفات إلا من عصم الله تعالى، ولكن جرس الإنذار الإلهيّ يطرق مشاعره؛ ليرجعه إلى صوابه، وينبّهه من غفلته، كما وصف تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾[2].

ولتقريب المعنى إلى أذهان العصاة، وترغيبهم في الاستغفار والتَّوبة ضرب الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام مثلاً لذلك في الحديث المتقدّم: «**إِنَّ اللهَ تَعالى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَة عَبْده منْ رَجُلٍ أَضَلَّ راحلَتَهُ وَزادَهُ في لَيْلَة ظَلْماءَ، فَوَجَدَها...**»[3].

ومن سعةّ رحمة الله بعباده أنَّه جلّت قدرته وعد التّوّابين الصّادقين بتوبتهم، والمخلصين بعملهم أن يبدل سيّئاتهم بفضله ورحمته حسنات بعد أن ذكر ثلاثة من كبائر الذّنوب، ثمّ استثنى من تاب منها توبةً نصوحاً، وآمن بصدق واستقامة وثبات، وعمل الصّالحات بوعي

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) النّساء: ٦٤.

(٣) الكافي: ٢٣١/٤، ح/٢٩٦٨.

وإخلاص كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾[1].

كَيْفَ تُبَدَّلُ السَّيِّئاتِ إِلى حَسَنات؟

اختلف المفسّرون في الجواب، ولمّا لم أكن من فرسان هذا الميدان أنقل آراء ثلاثة من فطاحل المفسّرين لكتاب الله تعالى:

قال الشّيخ الطَّبرسيّ في مجمع البيان: «والتَّبديل في الدُّنيا طاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والخير يعمله بعد الشّرّ، وقيل: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشّرك محاسن الأعمال في الإسلام بالشّرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزّنا عفّةً وإحصاناً... وقيل: إنَّ معناه أن يمحو السّيّئة عن العبد، ويثبت له بدلها الحسنة... واحتجّوا بالحديث الَّذي رواه مسلم في الصَّحيح مرفوعاً إلى أبي ذرّ، قال: قال رسول الله عليه السلام: **يؤْتى بالرَّجل يوْمَ الْقيامَة، فَيقال: اعْرضوا عَلَيْه صغارَ ذُنوبه، ونَحّوا عنْهُ كبارَها، فيقال: عَملْتَ يوْمَ كَذا كَذا، وكَذا كَذا، وهُو مقرٌّ لا ينْكر، وهو مشْفقٌ منَ الْكَبائر، فَيقال: أَعْطوه مكانَ كلّ سيِّئة عَملَها**

---

(١) الفرقان: ٦٨-٧١.

حَسَنَةً، فَيَقولُ: إنَّ لِيَ ذُنوباً ما أَراها هاهُنا؟ قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتّى بدت نواجذه»[1].

وقال العلامة الطّباطبائيّ: «الَّذي يفيد ظاهر قوله: ﴿**يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ**﴾، وقد ذيّله بقوله: ﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا**﴾ أنَّ كلّ سيّئة منهم نفسها تتبدّل حسنة، وليست السّيّئة هي متن الفعل الصّادر من فاعله، وهو حركات خاصّة مشتركة بين السّيّئة والحسنة كعمل المواقعة مثلاً المشترك بين الزّنا والنّكاح، والأكل المشترك بين أكل المال غصباً وبإذن من مالكه، بل صفة الفعل من حيث موافقته لأمر الله ومخالفته له مثلاً من حيث إنَّه يتأثّر به الإنسان ويحفظ عليه دون الفعل الَّذي هو مجموع حركات متصرّمة متقضية فانية، وكذا عنوانه القائم به الفاني بفنائه، وهذه الآثار السّيّئة الَّتي يتبعها العقاب أعني السّيّئات لازمة للإنسان حتّى يؤخذ بها يوم تبلى السّرائر، ولولا شوب من الشَّقوة والمساءة في الذّات لم يصدر عنها عمل سيّء إذ الذّات السَّعيدة الطّاهرة من كلّ وجه لا يصدر عنها سيّئة قذرة، فالأعمال السّيّئة إنَّما تلحق ذاتاً شقيّة خبيثة بذاتها أو ذاتاً فيها شوب من شقاء خباثة، ولازم ذلك إذا تطهّرت بالتَّوبة وطابت بالإيمان والعمل الصّالح، فتبدّلت ذاتاً سعيدة ما فيها شوب من قذارة الشَّقاء أن تتبدّل آثارها اللازمة الَّتي كانت سيّئات قبل ذلك، فتناسب الآثار للذّات بمغفرة من الله ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٨١/٧.

وإلى مثل هذا يمكن أن تكون الإشارة بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾»[١].

وفي الأمثل للشيخ مكارم الشّيرازيّ: «ها هنا عدّة تفاسير، يمكن القبول بها جميعاً:

١ – حينما يتوب الإنسان، ويؤمن بالله، تتحقّق تحوّلات عميقة في جميع وجوده، وبسبب هذا التّحوّل والانقلاب الدّاخليّ تتبدّل سيّئات أعماله في المستقبل حسنات، فإذا كان قاتلاً للنَّفس المحرّمة في الماضي، فإنَّه يتبنّى مكانها في المستقبل الدّفاع عن المظلومين، ومواجهة الظالمين، وإذا كان زانياً، فإنَّه يكون بعدها عفيفاً وطاهراً، وهذا التوفيق الإلهيّ يستنزله العبد في ظلّ الإيمان والتَّوبة.

٢ – إنَّ الله تبارك وتعالى بلطفه وكرمه وفضله وإنعامه يمحو سيّئات أعمال العبد بعد التَّوبة، ويضع مكانها حسنات، نقرأ في رواية عن أبي ذرّ [كما تقدّمت قبل قليل من مجمع البيان]...

٣ – التَّفسير الثّالث: هو أنَّ المقصود من السّيّئات ليس نفس الأعمال الَّتي يقوم بها الإنسان، بل آثارها السّيّئة الَّتي تنطبع بها روح ونفس الإنسان، فحينما يتوب ويؤمن تجتثّ تلك الآثار السّيّئة من روحه ونفسه، وتبدّل بآثار الخير، وهذا هو معنى تبديل السّيّئات حسنات.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٥/٢٤٢-٢٤٣.

ولا منافاة بين هذه التَّفاسير الثَّلاثة قطعاً، ومن الممكن أن تجتمع كلّ هذه التَّفاسير الثَّلاثة في مفهوم الآية»[١].

وبعد هذه الجولة في رحاب الاستغفار والتَّوبة نعود إلى زبدة البحث وأصله، فنقول: إنَّ (**اسْتِغْفارَ طاعَةٍ**) ينبعث في نفس الإنسان بعد حال إحساسه بالذَّنب، واستشعاره التَّقصير بحقّ الله، وإدراك خطر ما وقع فيه، فندم واستغفر، وتاب، ثمَّ توجّه إلى الله استجابةً لأمره في دعوة عباده إلى التَّوبة والطّلب منه بخضوع، وخشوع، وضراعة، وتوسّل لمغفرة ما وقع عليه..

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٢].

٧- اسْتِغْفارُ إيمانٍ:

لا نستطيع أن نحدّد مفهوم (استغفار إيمان) حتّى نقف على حقيقة الإيمان من حيث ماهيّته، وأركانه، وشرائطه، وآثاره؛ لذلك نتحدّث أوّلاً عن (الإيمان) لنصل إلى معنى (استغفار إيمان).

الإيمان هو التَّصديق عن جزم مقترن بإذعان النّفس، وسكونها، وقبولها وطمأنينتها عن علم، ومعرفة، ووعي بصواب ما أوجبه الله تعالى عليها، ودلالة ذلك العمل بما آمنت به، وهذا يتقوّم بثلاثة أمور أساسيّة

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١/٢٧٨-٢٧٩.

(٢) آل عمران: ١٤٧.

هي: اعتقاد بالحقّ، وإقرار به، وعمل بمقتضاه، «فعلى هذا صحّ القولُ بأنّ الإيمان هو المبدأ والغاية، فإنّ الإيمانَ والعمل الصّالح كلٌّ منهما يدور على صاحبه، فكلُّ إيمان موجب لصالح من العمل، وكلّ صالح من العمل ينجرّ إلى حصول ضرب من الإيمان، فيدور كلٌّ منهما على نفسه دوراً غير مستحيل، لتغايره بالعدد. لكنّ الإيمان أول الأوائل في الحدوث، وهو أيضاً آخر الأواخر في البقاء»[١].

ويؤيّد صحّة هذا المعنى حديث الإمام عليّ عليه السلام: «**الإيمانُ أَصْلُ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ سَبيلُ الْهُدى**»[٢].

وقوله عليه السلام: «**بالإيمان يُسْتَدَلُّ عَلى الصّالحات، وَبالْصالحات يُسْتَدَلُّ عَلى الإيمان، وَبالإيمان يَعْمُرُ الْعِلْمُ**»[٣].

وقال الرّاغب في مفرداته: «والإيمان...يوصَفُ به كلّ من دخل في شريعته مُقرّاً بالله وبنبوّته... ويراد به إذعان النَّفس للحقّ على سبيل التَّصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[٤]، ويقال لكلّ واحد من الاعتقاد، والقول الصّدق،

---

(١) تفسير القرآن الكريم: ١/٢٥٦.

(٢) كنز العمّال: ١٦/١٨٨، ح/٤٤٢١٦.

(٣) نهج البلاغة: ٢٥٠، خطبة: ١٥٦.

(٤) الحديد: ١٩.

والعمل الصّالح: إيمان»[١].

وفي اصطلاح الفقهاء: «الإيمان هو التَّصديق بالله وحده، وصفاته، وعدله، وحكمته، وبالنَّبوّة، وبكلّ ما علم بالضّرورة مجيء النَّبيّ ﷺ به، مع الإقرار بذلك، وعلى هذا أكثر المسلمين، بل ادّعى بعضُهم إجماعهم على ذلك، والتَّصديق بإمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام أو بإمام الزَّمان عليه السلام، وهذا عند الإمامية»[٢].

هذا هو معنى الإيمان المطلق، وأمّا الإيمان بالأئمّة الاثني عشر عليهم السلام فقد أطلق عليه «الإيمان بالمعنى الخاصّ» المشار إليه في الأخبار الكثيرة لما كان اصطلاحاً حادثاً في زمن الصّادقين عليهما السلام[٣].

وقد اختلف العلماء المتكلّمون في ماهيّة الإيمان إلى ثلاثة أقوال:

١- إنَّه تصديقٌ بالقلب، ولا اعتبار بما يجري على اللّسان، فمن كان عارفاً بالله تعالى، وبكلّ ما أوجب معرفته مقرّاً بذلك، مصدّقاً فهو مؤمن، والكفر نقيض ذلك.

٢- وذهب آخرون أنَّ الإيمانَ تصديقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللّسان.

٣- والرَّأي الثّالث هو العمل الصالح مضافاً لتصديق القلب وإقرار اللّسان.

وفي الحقيقة أنَّ الآراء الثَّلاثة تجمع أنَّ الإيمان لا بدَّ من أن يجتمع

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣، (أمن).

(٢) المصنّفات الأربعة (حقيقة الإيمان): ٣٥٩.

(٣) ينظر: مصباح الفقاهة: ٩٥/٥.

فيه الثّلاثة: تصديق القلب، وإقرار اللّسان، وعمل الأركان، إلا أنَّهم يختلفون هل أنَّ إقرار اللّسان عنصر أساسيٌّ في الأمر لا جزءاً منه، وإنّما هو شرط كاشف عن الإيمان، وهل يعدّ العمل في الإيمان إضافة إلى الأوليَّين، وعلى ذلك تترتّب أحكام فقهيّة غير داخلة في بحثنا هذا، إذ إنَّنا نبحثه من ناحية روحيّة وأخلاقيّة بعيدة عن الخلافات الكلاميّة والفقهيّة، وما نَصْبو إليه من بحثنا انتهى إليه الشّيخ الصّدوق رحمه الله بقوله: «والإيمان هو إقرار باللّسان، وعقد بالقلب، وعمل بالجوارح، وإنَّه يزيد بالأعمال وينقص بتركها، وكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمناً»[1].

وقد استفاضت الرّوايات المتضمنة لهذا التَّفسير، منها ما رواه سماعة، قال: «قلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: **إنَّ الإيمانَ يُشارِكُ الإسْلامَ، وَالإسْلامَ لا يُشارِكُ الإيمانَ**، فقلْتُ: فصِفْهما لي، فقال: **الإسْلامُ شَهادَةُ أَنْ لا إله إلا الله، وَالتَّصْديقُ برَسولِ الله صلى الله عليه وآله، به حُقِنَت الدِّماءُ، وَعَلَيْه جَرَت الْمَناكِحُ وَالْمَواريثُ، وَعَلى ظاهِره جَماعَةُ النّاس، وَالإيمانُ الْهُدى، وَما يَثْبُتُ في الْقُلوب منْ صفَة الإسْلامِ، وَما ظَهَرَ من الْعَمَلِ به، وَالإيمانُ أَرْفَعُ منَ الإسْلامِ بدَرَجَة، إنَّ الإيمانَ يُشاركُ الإسْلامَ في الظّاهِر، وَالإسْلامَ لا يُشارِكُ الإيمانَ في الْباطِنِ، وَإِن اجْتَمَعا في**

---

(١) كتاب الهداية: ٥٤-٥٥.

الْقَوْلِ والصِّفَة»(١).

ونحن لا نريد أن نخوض في هذه البحوث الخلافيّة، فغرضنا شيء آخر، وهو أن نقف على حقيقة الإيمان كما دلّنا عليه الكتاب والسّنّة والعقول الرّاجحة والقلوب السَّليمة.

والحقيقة أنَّ الإيمان بالله تعالى أمرٌ فطريٌّ تهدي إليه الفطرة الإنسانيّة قبل أن تدفن تحت ركام أدران الذّنوب، ومساوئ الاخلاق، وأوهام الأساطير، وانحراف الرّؤى والأفكار، فلو ترك الإنسان على فطرته كما خلقه الله تعالى مفطوراً على طلب الحقيقة لما نَهج إلا منهج الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، تلك هي ﴿**فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢).

إذن «فطرة الإنسان هي الأرضيّة الَّتي تحوي ميول الطّفل الطّيّبة وتصوّراته الحقّة، قبل أن يؤثّر عليها زيف المجتمع وأباطيله؛ فالطّفل بفطرته يعتقد بالخالق سبحانه، ويحبّ الخير والصّدق والخصال الحميدة، وهذا مؤدّى قول النّبيّ ﷺ: "**يولَدُ الإنْسانُ عَلى الْفِطْرَةِ، فَأَبَواهُ يُهَوِّدانه، أَوْ يُمَجِّسانه**"»(٣).

---

(١) الكافي: ٧٢/٣، ح/١٥١١.

(٢) الرّوم: ٣٠.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: ٦٧٢.

ولذلك نجد أنَّ كلّ إنسان سليم الفطرة طالبٌ للحقيقة، متطلّع لمعرفة حقائق الأشياء، شاعرٌ بالسّببيّة لكلّ حدث، محبّ للجمال، متنفّر من القبح..

والسّرّ في ذلك أنَّ من كان سليم الفطرة خاضعاً للميثاق الإلهيّ المغروس في أعماقه منذ قال: ﴿بَلَىٰ﴾ حين خلق الله الخلائق، وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]؛ ولهذا ترى أنَّ هذا الكائن العاقل يتطلّع دائماً إلى المزيد من معرفة الحقائق الكونيّة: الآفاقيّة أو الأنفسيّة؛ ليزيد من رصيده الإيمانيّ، وليقف على سرّ وجوده وعلّة إيجاده، وليحقّق لنفسه الاطمئنان والسَّكينة، قائلاً: «**اللّهُمَّ، إنّي أَسْأَلُكَ إيماناً تُباشِرُ به قَلْبي، ويَقيناً حَتّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لا يُصيبُني إلا ما كَتَبْتَ لي، ورَضِّني بما قَسَمْتَ لي**»[2].

وإذا تأمّلنا بقوله: «**تُباشِرُ بِهِ قَلْبي**» نعرف أنَّه ﷺ يطلب من الله تعالى أن يجعل قلبه طافحاً بالإيمان، متفاعلاً فيه، فالمباشرة من المفاعلة تقول باشرتُ الشَّيء أي تولّيته، وتفاعلت معه، فمعنى «**تُباشِرُ بِهِ قَلْبي**» أن توجد فيه إيماناً راسخاً بعمق، مستقرّاً ثابتاً لا يتزعزع ولا يتزلزل، وكاملاً لا نقص فيه، مستوعباً جميع أحاسيسي ومشاعري، وحركات جوارحي وجوانحي باطني وظاهري، مالكاً لأزمّة نفسي، مدبّراً لأموري كلّها؛ ولهذا نجد المخلَصين الكاملين من أولياء الله يتوسّلون إلى الله

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) الكافي: ٤/٤٢٤، ح/٣٢٨٨.

تعالى في طلب المزيد من الإيمان مع كمالهم وطهارتهم من الأرجاس المادّيّة والمعنويّة، بل جعلوا هذا التّوسّل إلى الله هو الأفضل من الأعمال كما جاء في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلونَ إلى الله سُبْحانَهُ: الإيمانُ بِهِ وبِرَسولِه**»[١].

وجاء هذا التّوسّل متواصلاً في أمّهات أدعيتهم المأثورة؛ لنستمع للإمام السّجّاد عليه السلام مناجياً ربّه تعالى: «**اللّهُمَّ، إنّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَمْلأَ قَلْبي حُبّاً لَكَ، وَخَشْيَةً مِنْكَ، وَتَصْديقاً لَكَ، وَإيماناً بِكَ، وَفَرَقاً مِنْكَ، وَشَوْقاً إلَيْكَ، يا ذا الْجَلالِ وَالإكْرامِ**»[٢].

وفي دعاء مكارم الأخلاق يقول عليه السلام: «**وَبَلِّغْ بِإيماني أَكْمَلَ الإيمانِ**»[٣]، طالباً من الله الإيمان الكامل، وهو الّذي تجتمع فيه كلّ لوازم الإيمان الظّاهريّة والباطنيّة، ولا تتجلّى تلك المعالم في حياة الإنسان إلا بسلوكه العمليّ اليوم، وفي علاقته مع الله تعالى، ومع نفسه، ومع النّاس.

أمّا مع الله تعالى؛ فيتجلّى إيمان العبد في علاقته بالله تعالى من حيث الخوف، والخشية، والرَّجاء، والحبّ، والثّقة، والرّضا، والطّاعة، والتّقوى، وعلى هذه الخصال أكّدت السّنّة في أحاديث كثيرة نذكر منها:

---

(١) نهج البلاغة: ١٩٢، خطبة: ١٠٩.

(٢) مصباح المتهجّد: ٥٩٦.

(٣) الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٨١، دعاء: ٢٠.

قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**لا تَكونُ مُؤْمناً حَتّى تكونَ خائفاً راجياً، ولَا تَكونُ خائفاً راجِياً حَتّى تَكونَ عامِلاً لِما تَخافُ وتَرْجو**»[1].

فهنا نلاحظ أنَّه عليه السلام أكّد على الخوف والرّجاء، وهما حالان ينبغي أن يتعادلا، ويسيرا بخطّين متوازيين، ويجب ألا يزداد، أو يتقدّم أحدهما على الآخر؛ ليكون المؤمن متوازناً مصوناً من الوقوع في الغرور أو القنوط.

وفي حديث آخر عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**واعْلَموا أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ منْ عَبيده حَتّى يَرْضى عَنِ الله فيما صَنَعَ اللهُ إلَيْه، وَصَنَعَ بِهِ عَلى ما أَحَبَّ وكَرِهَ**»[2].

وفي هذا الحديث يذكر خصلة الرّضا عن الله وهو «عبارة عن الابتهاج بقضائه، وأحكامه، وإحسانه، وإنعامه، وحمله عن تعجيل المؤاخذة والانتقام»[3]، وتلقّي أمر الله في كلّ حالاته في اليسر، والعسر، والشّدّة، والرّخاء قائلاً: «**يا إلهي، صَبْراً عَلى قَضائكَ، ولَا مَعْبودَ سِواكَ، يا غِياثَ الْمُسْتَغيثينَ**»[4]، وهذا الأمر «إنّما يحصل بمعرفة أنَّ ما

---

(١) تحف العقول: ٣٦٩.

(٢) الكافي: ٢٤/١٥، ح/١٤٨١٦.

(٣) رياض السّالكين: ٧٥/٥.

(٤) ينابيع المودّة لذوي القربى: ٨٢/٣.

يفعله سبحانه بعبده المؤمن هو خير له، وفيه صلاحه، وهذه المعرفة إنّما تحصل بالتّهيّؤ لها، وإعداد النَّفس لحصولها اللَّذين هما من المقدّمات»[(١)].

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِن، إنَّ أَمْرَه كُلَّهُ خَيْرٌ، ولَيْسَ ذلكَ لأَحَدٍ إلا للْمُؤْمِن، إنْ أَصابَتْهُ سرّاءَ شَكَر، فَكانَ خَيْراً لَهُ، وإِنْ أَصابَتْهُ ضرّاءَ صبر، فكانَ خَيْراً له**»[(٢)].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**بيْنا رَسولُ الله صلى الله عليه وآله في بَعْضِ أَسْفاره إذْ لَقيَهُ رَكْبٌ، فَقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسولَ الله، فَقالَ [بَعْدَ رَدِّ السَّلام]: ما أَنْتُمْ؟ قالوا: نَحْنُ مؤْمنونَ، قالَ: فَما حَقيقَةُ إيمانكُمْ؟ قالوا: الرِّضا بقَضاء الله، وَالتَّسْليمُ لأَمْرِ الله، وَالتَّفْويضُ إلى الله تَعالى، فَقالَ: عُلَماءُ حُكَماءُ كادوا أَنْ يَكونوا من الْحكْمَة أَنْبياءَ، فَإِنْ كُنْتُمْ صادقينَ فَلا تَبْنوا ما لا تَسْكُنونَ، وَلا تَجْمَعوا ما لا تَأْكُلونَ، واتَّقوا اللهَ الَّذي إِلَيْه تُرْجَعونَ**»[(٣)].

وفي هذا الحديث بيانٌ لحقيقة الإيمانَ من خلال تلبّس المؤمن ببعض المقامات الرّوحيّة العالية، وهي الرّضا، والتّسليم، والتّفويض؛ وهذه المقامات إنَّما تؤكّد عليها السّنّة الشَّريفة كثيراً لتشدّ الإنسان لله

---

(١) كتاب الوافي: ١/٥٥٦.

(٢) الجامع الصّحيح (صحيح مسلم): ٨/٢٢٧.

(٣) معاني الأخبار: ١٨٧.

تعالى، وتجعل قلبه متعلّقاً بالله، ونفسه مطمئنّة إلى ربّها راضية مرضيّة.

وفي حديث آخر لرسول الله ﷺ قال: «**لا يَكْمل عَبْدٌ الإيمانَ بالله حَتّى تَكونَ فيه خَمْسُ خصال: التَّوَكُّلُ عَلى الله، وَالتَّفْويضُ إلى الله، وَالتَّسْليمُ لأَمْر الله، وَالرِّضا بقَضاء الله، وَالصَّبْرُ عَلى بلاء الله، إنَّهُ مَنْ أَحَبَّ في الله، وأَبْغَضَ في الله، وأَعْطى لله، ومَنَعَ لله، فَقَد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ**»[1].

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإيمانُ أَرْبَعَةُ أَرْكان: الرِّضا بقَضاء الله، وَالتَّوَكُّلُ عَلى الله، وتَفْويضُ الأَمْر إلى الله، وَالتَّسْليمُ لأَمْر الله**»[2].

والتَّعبير بأركان الإيمان دلالةٌ أخرى على أهمّيّة هذه الخصال في كدح المؤمن إلى الله تعالى..

ولعلَّ السّرّ في التّأكيد على هذه الخصال كالرّضا، والتّسليم، والتّوكّل، والخوف، والخشية؛ لتجعل الإنسان مستحضراً مَعيّة الله تعالى له في قلبه ولسانه وجوارحه، شاعراً بهيمنته وقدرته ولطفه وإحسانه، ذاكراً لنعمه وآلائه؛ فعندما يستحضر الإنسان هذه الحقائق في نفسه، يشعر بالرّقابة الإلهيّة الّتي تحجزه عن المعاصي، ويشعر من جانب آخر بالرعاية الإلهيّة، فيزداد قوّةً وصلابةً في مواجهة عقبات الحياة.. وعندما

---

(١) أعلام الدّين في صفات المؤمنين: ٣٣٤.

(٢) الكافي: ٣/١٤٧، ح/١٥٦٤.

يكون عالماً بأنَّ الله لا يعمل له إلا الصَّلاح في حال الشّدّة والرّخاء، والعسر واليسر، فسيترسّخ في قلبه الإيمان حتّى تحصل له القناعة بأنَّه لا مؤثّر في الوجود إلا الله، ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، لا يَقْضِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بقَضاء إلا كانَ خَيْراً لَه، وَإنْ قُرِّضَ بِالْمَقارِيضِ كانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ مَلَكَ مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَها كانَ خَيْراً لَهُ»**[1].

وأمّا في علاقته مع نفسه، وهي صورة عجيبة في طبيعة هذا الإنسان حين يرصد أفكاره، ومشاعره، وحركاته، وسكناته، ويميّز حسناته من سيّئاته، فيكون بذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[2]، فهو أعلم بنفسه من غيره، وأعرف بها، ولذا يستطيع أن يشخّص ما يضرّه، وما ينفعه.. ويمكن القول بضرس قاطع أنَّ أفضل ما يعين الإنسان على نفسه هو توفيق الله له لرصد ما يجول في خاطره، وما يصدر منه من أعمال؛ لينبذ ما يخالف شريعة الله، ويستغفر الله عليه، ويضمن لنفسه ما يُقوّمها ويهذّبها، ويضعها على جادَّة الصَّواب، وهذا ما يمكن أن نسمّيه المراقبة الذّاتيّة، وهي دلالة على الوعي والرّشد.

نقول هذا لأنَّ دوافع الخير والشّرّ في كامنة في طيّات هذه النَّفس،

---

(١) الكافي: ٢/١٦١، ح/١٥٨٥.

(٢) القيامة: ١٤-١٥.

يقول تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[١]، ولا يمكن تشخيص هذه الدّوافع إلا من الإنسان نفسه، ومن هنا إذا استطاع الإنسان أن يُحَكّم عقله في أهوائه فسيصبح متوازناً معتدلاً، وبذلك يتطابق قلبه مع لسانه، وقوله مع فعله، فلا يقول إلا ما يفعل، ولا يفعل إلا ما فيه صلاحه وإصلاحه، وهذه السّمة من أبرز سمات الإيمان، يقول الرَّسول صلى الله عليه وآله: **«إنَّ الرَّجُلَ لا يَكونُ مُؤْمناً حَتّى يَكونَ قَلْبُهُ مَعَ لسانه سَواء، ويَكونَ لسانُهُ مَعَ قَلْبِهِ سَواء، ولَا يُخالِفُ قَوْلُهُ عَمَلَهُ، ويأْمَنَ جارُهُ بوائقَهُ»**[٢].

ولا يشخّص هذه السّمة في الإنسان إلا الله تعالى، والإنسان نفسه يعلم بذلك إلا أن يخادع نفسه، وهذه الخصلة من أعلى درجات الإيمان وأوضح معالم الفوز والظَّفر، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنَّ أَعْلى مَنازلِ الإيمانِ دَرَجَةٌ واحدَةٌ مَنْ بلَغَ إلَيْها فَقَدْ فازَ وَظَفر، وَهُوَ أَنْ يَنْتَهيَ بسريرَتِه في الصَّلاحِ إلى أَنْ لا يُبالي بِها إذا ظَهَرَتْ، ولَا يَخافَ عِقابَها إِذا اسْتَتَرَتْ»**[٣].

ومطابقة القول والفعل يظهر في سيرة الإنسان من خلال تعامله مع الآخرين، والأصل هو معرفة الإنسان لنفسه بنفسه، وتبصّره في دوافعه، وتحكّمه فيها، فهو الوحيد من النّاس الَّذي يعلم علماً يقينيّاً فيما إذا خالف فعلُه قولَه.

---

(١) الشّمس: ٧-٨

(٢) كنز العمّال: ٤٠/١، ح/٨٥.

(٣) عدّة الدّاعي ونجاح السّاعي: ٢٦١.

وهكذا يتّضح أنَّ المراقبة الذّاتيّة هي العامل الفعّال في السَّير التّكامليّ للإنسان نحو الرّقيّ الرّوحيّ والعلميّ والأخلاقيّ؛ لأنَّ المراقب لذاته سيكشف الخطأ بنفسه، وإن كان هادفاً لبناء شخصيّته بناءً إسلاميّاً سليماً، فسيعمل لتدارك النَّواقص والسّلبيّات، وتنمية العوامل الإيجابيّة، وبناءً على كلّ ما تقدّم يتبيَّن لنا أنَّ المراقبةَ الذّاتيّةَ سمةٌ إيمانيّةٌ أساسيّة في حياة المؤمن، وهي أفضل وسيلة لتنمية روح الإيمان في النّفس، وباختصار هي نصيحة الإنسان لنفسه، وليس هناك ناصح أنصح للمرء من نفسه، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**إِنَّ أَنْصَحَ النّاسِ أَنْصَحَهُمْ لِنَفْسِهِ وَأَطْوَعَهُمْ لِرَبِّهِ**»[1].

وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «**ما ناصَحَ اللهَ عَبْدٌ مُسْلِمٌ في نَفْسِهِ، فَأَعْطى الْحَقَّ مِنْها، وَأَخَذَ الْحَقَّ لَها، إلا أُعْطِيَ خَصْلَتَيْنِ: رِزْقاً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقْنَعُ بِهِ، وَرِضًى عَنِ اللهِ يُنْجِيهِ**»[2].

وأمّا العلاقة مع النّاس؛ وهي ما يطلق عليه آداب العشرة، وقد أُفْرِدَ لها في أكثر كتب الحديث، وكتب الأخلاق أبوابٌ وفروعٌ وآدابٌ، ووُضِعَ لكلّ صنف من أصناف النّاس أدب، وفي هذه العلاقة تتجلّى عدالة الإنسان وسموّه الخلقيّ، ودرجة إيمانه من خلال تعامله مع النّاس، ومن أروع وأجمل الوصايا في أدب العشرة هي وصيّة أمير المؤمنين

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٥، ح/٤٥٥٩.

(٢) كتاب الخصال: ٤٦.

لولده الحسن عليهما السلام:

«**يا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ ميزاناً فيما بيْنَكَ وبيْنَ غيْرِك، فَأَحْبِبْ لغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لنَفْسك، واكْرَهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لها، ولا تَظْلِمْ كما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأَحْسِنْ كَما تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ من نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ منْ غَيْرِكَ، وارْضَ منَ النّاسِ بما تَرْضاهُ لَهُمْ منْ نَفْسِكَ**»[1].

ومن هذا الحديث وغيره من الأحاديث نستوحي أنَّ الميزان الإيمانيّ في هذه العلاقة هو: أن يضع الإنسان نفسه في مكان الشّخص المقابل الَّذي يعاشره، ويقول لنفسه: كيف أحبّ أن يتعامل معي، لأتعامل معه كما يحبّ؟ فعن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**صاحِبِ النّاسَ بمِثْلِ ما تُحِبُّ أَنْ يُصاحِبوكَ به**»[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصّادق عليه السلام حين سُئِلَ عن حقّ المسلم على أخيه، فقال: «**إنَّ منْ أَشَدِّ ما افْتَرَضَ اللهُ على خَلْقه ثلاثَ خِصالٍ: إنْصافُ[3] الْمُؤْمنِ منْ نَفْسه حَتّى لا يَرْضى لأخيه الْمُؤْمنِ**

(١) نهج البلاغة: ٤٢٢، كتاب: ٣١.

(٢) أعلام الدّين في صفات المؤمنين: ٢٩٧.

(٣) الإنصاف: العدل، قال الطّريحيّ: «أنصفت الرّجل إنصافاً: عاملته بالعدل والقسط، والاسم النَّصَف والنَّصَفة – محرّكتين – لأنّك أعطيته من الحقّ كما تستحقّه لنفسك» مجمع البحرين: ١٢٤/٥، (نصف).

مِنْ نَفْسه إلا ما يَرْضى لِنَفْسه، ومُواساةُ الأَخِ في الْمال، وَذِكْرُ الله عَلى كُلِّ حال»[1].

وإذا راجعنا الكمَّ الهائل من الأحاديث الشَّريفة في العلاقات الاجتماعيّة نجد أنَّها تحدّد لها وسائل عمليّة، وأخلاقيّة، وأدبيّة، وهي تمثّل الرَّكائز الَّتي ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن؛ ليستطيع أن ينفذ في الوسط الاجتماعيّ؛ ليبني علاقاته على الأسس الإيمانيّة؛ ليكون عنصراً مؤثّراً لتغيير وإصلاح الوسط الّذي يعيش فيه، وما لم يتّصف الإنسان بهذه الخصال والخلائق يصعب بل يستحيل عليه النّفوذ إلى قلوب النّاس ويجذبهم لتحقيق أهدافه، ومن هذه الخلائق والخصال: الخبرة الاجتماعيّة بأصول التَّعامل مع الآخرين، الحلم، الحبّ، التّودّد، الرّفق، اللّيونة، المداراة، المعروف، حسن الأخلاق، ولطف اللّقاء، المواساة، المشاركة الوجدانيّة، الإنصاف، التَّناصح، التّغافل، العفو والتّسامح...الخ.

علماً أنَّ كلّ مفردة من هذه المفردات تمثل بعداً إيمانيّاً أخلاقيّاً وسلوكيّاً نظريّاً وعمليّاً، وهي تحتاج إلى شرح وبيان لأصولها وآثارها وآدابها؛ وبيان ذلك خارج عن بحثنا هذا، ثم لا بدَّ من أن نؤكّد أنَّ هذه الخصال يجب أن يتحلّى بها المؤمن بروح إلهيّة بعيدة عن التّصنّع، والرّياء، وحبّ الشُّهرة والمصالح الخاصّة، والتّكلّف...الخ، وإذا ظهر لا سامح الله مفردة من هذه المفردات توحي بالرّياء أو حبّ الشّهرة في

---

(١) مصنّفات الشيخ الصّدوق (مصادقة الأخوان): ٢٤٥.

سلوك المتلبس بها، فإنَّها تصبح فاقدةً لروحها ومعناها مُنفِّرة مُنْكرة ثقيلة الظّلّ.

وخلاصة الكلام أنَّ الإيمان لا ينحصر في مجال واحد من مجالات الحياة، بل يمتدّ إلى كلّ جُزَيء من أجزائها في حياة الفرد والمجتمع والدَّولة، ويستقطب كلّ كيان الإنسان الرّوحيّ والبدنيّ، الفكريّ والعاطفيّ، النَّظريّ والعمليّ، الظّاهري والباطنيّ فهو ليس تصديقاً واعتقاداً قلبيّاً فقط، ولا إقراراً باللّسان فقط، ولا حركة في الجوارح وحسب، وإنّما بمجموعها بصورة تامّة كاملة متواصلة.

وممّا يؤكّد هذه الحقيقة حديث أبي أحمد داود بن سليمان الغازيّ، قال: «**حَدَّثَني عَلِيُّ بْنُ موسى الرِّضا، قالَ: حَدَّثَني أَبي موسى بْنُ جَعْفَرَ، قالَ: حَدَّثَني أَبي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد، قالَ: حَدَّثَني أَبي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْباقِرُ، قالَ: حَدَّثَني أَبي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، قالَ: حَدَّثَني أَبي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، قالَ: حَدَّثَني أَبي أَميرُ الْمُؤْمنينَ** عليهم السلام، **قالَ: قالَ رَسولُ الله** صلى الله عليه وآله: **الإيمانُ إِقْرارٌ باللِّسانِ، وَمَعْرِفَةٌ بالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بالأَرْكانِ**»[١].

وَسند هذا الحديث يدلّ على أهمّيّته، وهناك له سند آخر عن أبي الصَّلت الهرويّ عبد السلام بن صالح، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام

---

(١) كتاب الخصال: ١٧٩.

بإسناد مثله، قال أبو حاتم: «لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ»[1].

وقد جاء هذا الحديث المتقدّم بصيغ مختلفة، وكلّها تؤدي معنى واحداً، فعن رسول الله ﷺ: **«الإيمانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرارٌ بِاللِّسانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكانِ»**[2].

«الإيمانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ، وَلَفْظٌ بِاللِّسانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوارِحِ، لا يَكونُ الإيمانُ إلا هكَذا»[3].

«الإيمانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»[4].

«الإيمانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ أَخَوانِ شَريكانِ»[5].

وقد جمع رسول الله ﷺ كلّ علامات الإيمان، ومعالمه، وآثاره بحديث واحد اختصر فيه حقائق الإيمان الّتي ينبغي أن تتجلّى في سلوك الشّخصيّة الإيمانيّة بقوله ﷺ: **«الإيمانُ في عَشَرَةٍ: الْمَعْرِفَةِ، وَالطّاعَةِ، وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْوَرَعِ، وَالاجْتِهادِ، وَالصَّبْرِ، وَالْيَقينِ، وَالرِّضا، وَالتَّسْليمِ، فَأَيُّها فَقَدَ صاحِبُهُ بَطَلَ نِظامُهُ»**[6].

ونحن نفهم من عبارة «**بَطَلَ نِظامُهُ**» أنَّ الإيمان يتشكّل في عقل

---

(١) كتاب الخصال: ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٨-١٧٩.

(٤) المصدر نفسه: ٥٣.

(٥) قرب الإسناد: ٢٥، ح/٨٣؛ معاني الأخبار: ١٨٧.

(٦) كنز الفوائد: ٢/١١.

الإنسان، ويترسّخ في قلبه كمنظومة فكريّة عقائديّة متكاملة يقتنع فيها العقل، ويؤمن بالوجود المقدّس لله تعالى، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولكن الإيمان لا يتوقّف في هذه المنظومة في حدود العقل النَّظريّ، بل يتحرّك منها، وينساب إلى القلب، وبالتّعبير القرآنيّ: ﴿**قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ**﴾[1].

فإذا لم يدخل القلب لا يتحقق الإيمان؛ ولذا «نفى عنهم الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، وهو دالّ على التَّغاير»[2]؛ فإذا دخل الإيمانُ القلبَ ملك كلّ وجود الإنسان، وأصبح الطّاقة المحرّكة له فكريّاً وعاطفيّاً حتّى يصبح طبعاً وعادةً وسلوكاً، ونحن حين نتأمّل في المفردات العشرة الَّتي تقدّمت في الحديث النّبويّ الشَّريف: «**الإيمانُ في عَشَرَةٍ...**» نجد أنَّها تشتمل كلّ الجهد البشريّ العباديّ، وتمتدّ إلى كلّ الكيان الإنسانيّ العقليّ والنَّفسيّ، الفكريّ، والعاطفيّ، إذن لا يتحقّق الإيمان بكلّ أبعاده ما لم يمتلك قلب الإنسان وروحه، ويجري في كل جُزَيْءٍ من أجزائه، ويصبح قوّة محرّكة وطاقة حاكمة في حياة الإنسان، وموجّهة لسيره.

إذن فمعنى كمال الإيمان في دعاء الإمام السّجّاد عليه السلام: «**وبَلِّغْ**

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) موسوعة الشّهيد الثّاني (المقاصد العليّة في شرح الرّسالة الألفيّة): ١٢/٣٣.

بإيماني أَكْمَلَ الإيمان»[1] «يحتمل أن يكون المراد به نفس التَّصديق، وهو أصل الإيمان الكامل، وأن يكون المراد به الإيمان الكامل، وهو التَّصديق مع العمل؛ فإنّ لكلّ منهما درجات ومراتب متكثّرة متفاوتة بعضها فوق بعض، وأدناها في التَّصديق أصل المعرفة؛ لأنّ زواله يوجب الكفر، وفي العمل القيام بالمفروضات، واجتناب المنهيّات، وأعلاها فيهما غاية الكمال للبرّ، وهي في التَّصديق كمرتبة عين اليقين، أو أعلى منها، وهي مرتبة حقّ اليقين، وفي العمل صرف جميع الجوارح في جميع الأوقات في جميع ما خُلقت له»[2].

وهكذا نعرف أنَّ الإيمان ليس ادّعاءات فارغة المحتوى، ولا طقوس تقليديّة تؤدّيها العضلات، ولا تصوّرات وهميّة يحتويها الذّهن، وإنّما هو منهجٌ فكريٌّ وأخلاقيٌّ وسلوكيٌّ ينظّم حياة الإنسان في سيره التّكامليّ في كدحه إلى الله تعالى، يستوعب جميع جوانب حياته في علاقاته: مع الله، ومع نفسه، ومع أبناء جنسه، ومع الطَّبيعة في جميع مفرداتها، ولعلَّ هذا المعنى نستوحيه من قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ**

---

(١) الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٨١، دعاء: ٢٠.

(٢) رياض السّالكين: ٢٧١/٣.

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[١].

وهكذا نعرف أنَّ الإيمان هو الذّوبان الرّوحيّ في رحاب قدس الله عزَّ وجلَّ، والعيش في خطّ تصاعديّ؛ لتنمية الإنسان المنفتح على حقيقة التّوحيد وخطّ رسالة الله تعالى في حركة رسله، وتقويته، وإكماله حتّى يصل إلى الدَّرجة العليا الَّتي تبلغ به إلى الغاية المثلى[٢].

وأخيراً: إنَّ الإيمان يستقطب كلّ جوارح الإنسان وجوانحه كما دلَّ على ذلك حديث الزّبيريّ المفصّل لأبعاده، الَّذي دل على فرض الإيمان على كلّ جارحة من جوارح ابن آدم كما نصَّ عليه السلام بقوله: «**فَرَضَ الإيمانَ على جَوارِحِ ابْنِ آدَمَ، وقَسَّمَهُ عَلَيْها، وفَرَّقَهُ فيها، فَلَيْسَ مِنْ جَوارِحِهِ جارِحَةٌ إلا وَقَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الإيمانِ بِغَيْرِ ما وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُها**»[٣].

وَأَدَقّ ممّا تقدّم، وأكثر تفصيلاً في بيان أنَّ الإيمان يستقطب كلّ جُزَيء من كيان الإنسان بصورة رائعة مفصّلة ما جاء في دعاء عرفة للإمام

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) ينظر: آفاق الرّوح: ٤٤٦/١.

(٣) الكافي: ٩١/٣، ح/١٥٢١.

الحسين عليه السلام بقوله داعياً ومناجياً وسائلاً مؤكّداً استيعاب إيمانه بالله لأصغر ذرّة من جسده، قائلاً:

«وَأَنا أَشْهَدُ يَا إِلهي بِحَقيقَةِ إيماني، وَعَقْدِ عَزَماتِ[١] يَقيني، وَخالِصِ صَريحِ تَوْحيدي، وَباطِنِ مَكْنونِ ضَميري، وَعَلائِقِ مَجاري نورِ بَصَري، وَأَساريرِ[٢] صَفْحَةِ جَبيني، وَخُرْقِ مَسارِبِ[٣] نَفْسي،

---

(١) في كتاب العين ٣٦٣/١: «ما عقد عليه القلب أنَّك فاعله»؛ وفي الصّحاح ١٩٨٥/٥: «عزمتُ على كذا عَزماً وعُزماً - بالضمّ - وعزيمة وعزيماً، إذا أردت فعله، وقطعت عليه»؛ وقال الشّريف المرتضى: «العزم : توطين النفس والقطع على أنه سيفعل الفعل أو لا يفعله لا محالة، وقيل: العزم إرادة جازمة حصلت بعد التّردّد فيه»، رسائل الشّريف المرتضى: ٢٧٨/٢؛ وفي مجمع البحرين ١١٥/٦: «العزيمة: هي إرادة الفعل، والقطع عليه، والجدّ في الأمر»؛ والعزمات: هنا الهمم العالية قال الشّاعر: [من الطّويل]

هي العزمات والهمم العوالي ... ينال بها الفتى رتب المعالي

فتى العلياء، من يسمو إليها ... بقلب بالمنيّة لا يبالي

فالعزمات هنا «كما يفهم من سياق العبارة المطروحة أمام هذا البحث تعني الإصرار على الطّاعة حتّى آخر نفس من أنفاس الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾؛ وذلك لأنَّ نقض العزمات عن عبادة الله على حدّ الرّدّة بل هو ردّة حقيقيّة».

(٢) أسارير: هي الخطوط الّتي في الجبهة من التّكسّر فيها.

(٣) مسارب النّفس: مجاريها في العروق والأعضاء، وخرقها: منافذها.

وَحَذاريف [خَذاريف][(١)] مارن[(٢)] عرْنيني[(٣)]، ومَسارب صماخِ[(٤)] سَمْعي، وما ضُمَّتْ وأَطْبَقَتْ عَلَيْه شَفَتاي، وحَرَكات لَفْظ لساني، ومَغْرَز[(٥)] حَنَكِ[(٦)] فَمي وفَكّي، ومَنابتِ أَضْراسي[(٧)]، وبُلوغِ حَبائل[(٨)]

---

(١) الخذروف: السّريع المشي، والخذروف عويد مشقوق في وسطه، يشدّ بخيط، ويمدّ فيسمع له حنين... والجمع: الخذاريف، وقال في التّهذيب: عود أو قصبة مشقوقة يفرض في وسطه، ثمَّ يشدّ بخيط، فإذا أجرّ دار، وسمعتَ له حفيفاً، يلعب بها الصّبيان.

(٢) المارن: الأنف، وقيل طرفه، وقيل: المارن: ما لان من الأنف منحدراً عن العظم، فهو فوق الأنف قرب العين تقريباً.

(٣) عرنين كلّ شيء أوّله، وعرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين، وهو أوّل الأنف حيث يكون فيه الشّمّ.

(٤) الصّماخ من الأذن الخرق الباطن الّذي يفضي إلى الرّأس.

(٥) المغرز: موضع الغرز، ومغرز الفكّين: محل اتّصالهما بالجسم.

(٦) الحنك من الإنسان والدّابة: باطن أعلى الفم من الدّاخل، وقيل: هو الأسفل في طرف مقدّم اللَّحيين من أسفلهما.

(٧) المنابت: جمع المنبت، محل النَّبت، والأضراس جمع ضِرس بالكسر: الأسنان الخمسة أو الأربعة من كلّ جانب من جوانب الفكّ.

(٨) حبائل: جمع حِبالة، وهي المصيدة، واحتبله: أخذه وصاده بالحبالة، أو نصبها، والحبل حبل العاتق، وهو عصبة بين العنق والمنكب، وقال الأزهري: حبل العاتق وصلة ما بين العاتق والمنكب، وحبل الوريد: عرق يدرّ في الحلق، وقيل: عرق في العنق.

بارِعِ عنُقي ومَساغِ[١] مطْعَمي ومَشْرَبي وَحمالَة[٢] أُمِّ رأْسي[٣]، وَجُملِ حَمائلِ حَبْلِ وَتيني[٤]، وما اشْتَملَ عَلَيْه تامورُ[٥] صَدْري، ونِياطِ[٦] حِجابِ قَلْبي، وأَفْلاذُ[٧] حَواشِي كَبِدي، وما حَوَتْه

---

(١) مساغ: مصدر ميمي: الَّذي سهل ولان؛ وساغ الشّراب في الحلق سهل مدخله فيه، وساغ الطّعام سوغاً نزل في الحلق، وسوّغه ما أصاب هنأه، وشراب سايغ عذب، وطعام أسوغ يسوغ في الحلق.

(٢) الحمالة: علاقة السّيف لأنّها تحمله؛ وحمالة أم الرّأس: الرّابطة التي تربط أم الرّأس وهو: المخ بالبدن حتّى لا يتزحزح عن محلّه.

(٣) أمّ الرّأس: هي الخريطة الّتي فيها الدّماغ، أو هي الجلدة الّتي تجمع الدّماغ؛ لسان العرب: ١٢/٣٢-٣٢، (أمم).

(٤) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. وقيل: الوتين عرق لاصق بالصّلب من باطنه أجمع، يسقي العروق كلّها الدّم، ويسقي اللَّحم، وهو نهر الجسد، وقد عبّر عنه الأطبّاء حديثاً بـ(الأبهر)، وقيل: هو عرق أبيض مستنبط الفقار، وقيل: الوتين يستقي من الفؤاد وفيه الدّم، وقيل: هو نياط القلب، وقيل: هو عرق أبيض غليظ كأنّه قصبة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ (الحاقّة: ٤٦).

(٥) التّامور والتّامورة: الإبريق، وقيل التّامور والتّامورة الخمر نفسها، وقال الأصمعيّ: التّامور الدّم، والخمر والزّعفران، والتّامور النّفس، والتامور غلاف القلب وحبّة القلب، وقيل: التّامور هو غشاءٌ مصليٌّ يحيط بالقلب ليقيه الاحتكاك بالرّئتين الاسفنجيّتين.

(٦) نياط القلب وهو العرق الَّذي يتعلّق به القلب، وناط وانتاط بعد.

(٧) الفلذّة: القطعة من الكبد، واللَّحم والمال، والذّهب والفضّة، والجمع أفلاذ، وفي الحديث في أشراط السّاعة: (وتقيء الأرض أفلاذ كبدها) وفي رواية: (تلقي الأرض بأفلاذها، أو بأفلاذ كبدها) أي بكنوزها وأموالها، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (الزّلزلة: ٢)، وخصّ الكبد لذلك لأنّها من أطايب الجزور.

شَراسيفُ[١] أَضْلاعي، وَحقاق[٢] مَفاصِلي وأَطْراف أَناملي، وقَبْض عَواملي، ودَمي، وشَعْري، وبَشَري، وعَصَبي[٣] وقَصَبي وعِظامي، ومُخِّي، وعُروقي، وجَميعِ جوارحي، وما انْتَسجَ عَلى ذلكَ أَيّامَ رضاعي، وما أَقَلَّت[٤] الأَرْضُ منّي، ونَوْمي، ويقَظَتي، وسُكوني[٥]، وحَرَكَتي، وحَرَكاتِ رُكوعي وسُجودي»[٦].

---

(١) شراسيف: جمع شرسوف وهو غضروف معلّق بكلّ ضلع مثل غضروف الكتف، وقال ابن سيده: الشّرسوف ضلع على طرفها الغضروف الرَّقيق، وقال الأصمعيّ: الشّراسيف أطراف أضلاع الصَّدر الَّتي تشرف على البطن، وقال ابن الأعرابي: الشّرسوف رأس الضّلع ممّا يلي البطن.

(٢) الحقاق: حاقّه في الأمر محاقّة وحقاقاً ادّعى أنَّه أولى بالحقّ منه، والحقاق الإدراك؛ لأنَّ وقت الصّغر ينتهي فتخرج الجارية من حدّ الصّغر إلى الكبر، والحقاق بلوغ العقل، والحقاق من الإبل جمع حقّ وحُقّة، فهو الَّذي دخل في السَّنة الرّابعة.

(٣) العصب: الأطناب المنتشرة في الجسم الَّذي بها يتحرّك الإنسان؛ والقصب: كلّ شيء مجوّف مثل الأنبوب، ومنه القصب الَّذي يخرج منه النّفس.

(٤) أقلَّ: حمل، واستقلّ القوم أي ذهبوا، واحتملوا سارين، وارتحلوا، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ (الأعراف: ٥٧)، أي حملت.

(٥) السّكون ضدّ الحركة، وسكن الشَّيء يسكن سكوناً إذ ذهبت حركته؛ وقد استفدت هذه المعاني المتقدّمة من كتاب موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام للشّيخ باقر شريف القرشيّ: ١٨٢/١٢-١٨٣؛ وكتاب أصول المعرفة في شرح دعاء عرفة لعبّاس أحمد الرّيّس الدّرازيّ: ٣٠٤/١-٣٢٤.

(٦) إقبال الأعمال: ٦٥٣.

وهو بيان مفصّل يؤكّد بوضوح تامّ أنَّ الإيمان يجب أن يستقطب ويستوعب، ويستعمر كلّ وجود الإنسان، وهو أفضل دلالة على أنَّه لا ينحصر بتصديق القلب، وإقرار اللّسان، وعمل الإركان وحسب، وإن كان ذلك في الأحاديث المتقدمة على نحو الإيجاز، ولكنَّ الإمام الحسين عليه السلام وهو بين يدي الله تعالى يؤكّد ذلك بأدقّ معانيه وأوسعها، ويفضي به وهو بحالة ذوبان لله[١]، وفي الله، وفي سبيل الله؛ وقد صوّر ذلك رواة الدّعاء أنّه «اندفع عليه السلام في المسألة واجتهد في الدّعاء... وعيناه تكفّان[٢] دموعاً»[٣]؛ ليرسم صورةً واضحةً لعمق الإيمان في كيان الإنسان، وليبرهن على أنَّ الإنسان مملوك لإيمانه بالله تعالى، ولا تتحقّق إنسانيّته الكاملة إلا به، ولنرجع إلى بداية حديث الزّبيريّ وهو جواب لسؤال وجَّهه لأبي عبد الله الصّادق عليه السلام قائلاً:

«قلْتُ له: أيّها العالم، أخبرني أيُّ الأعمال أفضل عند الله؟

---

(١) قال الكفعميّ: «ذكر السّيّد الحسيب النّسيب رضيّ الدّين عليّ بن طاووس قدّس الله سرّه في كتاب مصباح الزّائر، قال: روى بشر وبشير الأسديّان، أنَّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام خرج عشيّة عرفة من فسطاطه متذلّلاً متخشّعاً، فجعل عليه السلام يمشي هوناً هوناً حتّى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثمَّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، قال: **الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيْسَ لِقَضائه دافعٌ**... إلى آخره»، البلد الأمين: ٣٥٢.

(٢) كَفكَفَ الدَّمع: مسحه مرّة بعد مرّة ليجفّ؛ المعجم الوسيط: ٧٩٢، (كفكف).

(٣) البلد الأمين: ٣٥٦.

قال: **ما لا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئاً إلا به.**

قلْتُ: وما هو؟ قال: **الإيمانُ بالله - الَّذي لا إلهَ إلا هُوَ - أَعْلى الأَعْمالِ دَرَجَةً، وأَشْرَفُها مَنْزِلَةً، وأَسْناها حَظّاً.**

قال: قلْتُ: ألا تخبرني عن الإيمان: أقولٌ هو وعملٌ، أم قولٌ بلا عمل؟

فقال: **الإيمانُ عَمَلٌ كُلُّه، وَالْقَوْلُ بَعْضُ ذلكَ الْعَمَلِ، بِفَرْضٍ منَ الله، بَيِّنٍ في كتابِه، واضِحٍ نورُه، ثابتَةٍ حُجَّتُه، يَشْهَدُ لَهُ بِه الْكتابُ، ويَدْعوه إِلَيْه.**

قال: قلْتُ: صفْهُ لي، جعلْتُ فداك، حتّى أفهمه.

قال: **الإيمانُ حالاتٌ، ودَرَجاتٌ، وطَبَقاتٌ، ومَنازلُ؛ فَمنْهُ التّامُّ الْمُنْتَهي تَمامُهُ، وَمِنْهُ النّاقِصُ البَيِّنُ نُقْصانُهُ، وَمِنْهُ الرّاجِحُ الزّائِدُ رُجْحانُهُ»**[1].

والنَّصُّ أثبت بصورة واضحة جليّة أموراً أساسيّة لا يمكن التَّغافل عنها؛ لأنَّه لا قيمة لعقيدة الإنسان وعمله من دونها:

١- لا يقبل الله أيَّ عمل من أعمال ابن آدم من دون الإيمان الصَّحيح.

٢- أصل الإيمان هو توحيد الله **«لا إلهَ إلا اللهُ»**، وهو أعلى درجات الأعمال وأشرفها.

---

(١) الكافي: ٣/٩٠-٩١، ح/١٥٢١.

٣- «**الإيمانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، وَالْقَوْلُ بَعْضُ ذلكَ الْعَمَلِ، بِفَرْضٍ مِنَ اللهِ**»، وهو دلالة على التّلازم، والتّرابط، والتّفاعل بين العقل والقلب والجوارح كلّها، فالعقل يبرهن، ويثبت، ويوجّه أوامره، والقلب يتلقّى، ويصدّق، ويتفاعل، والجوارح تتحرّك، فكلّ لما خُلقَ له، وتنفذ كلّ ذلك امتثالاً بروح إيمانيّة، لأنَّ الله تبارك وتعالى «**فَرَضَ الإيمانَ عَلى جَوارِحِ ابْنِ آدَمَ، وَقَسَّمَهُ عَلَيْها، وَفَرَّقَهُ فيها، فَلَيْسَ مِنْ جَوارِحِه جارِحَةٌ إلا وَقَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الإيمانِ بِغَيْرِ ما وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُها**»[1].

وبهذا التّصوّر الإيمانيّ قلنا: إنَّ الإيمان يستقطب كلّ كيان الإنسان ظاهره وباطنه؛ ليبرز الشّخصيّة الإيمانيّة الّتي يُذَكّر منظرها بالله ورسله واليوم الآخر فضلاً عن منطقها.

٤- الإيمان من الألفاظ المشكّكة الّتي تتفاوت درجاتها بالشّدّة والضّعف والكمال والنّقص، ودليل ذلك قال عليه السلام: «**الإيمانُ حالاتٌ، وَدَرَجاتٌ، وَطَبَقاتٌ، وَمَنازِلُ؛ فَمِنْهُ التّامُّ الْمُنْتَهي تَمامُهُ، وَمِنْهُ النّاقِصُ الْبَيِّنُ نُقْصانُهُ، وَمِنْهُ الرّاجِحُ الزّائِدُ رُجْحانُهُ**».

وبعد هذه الجولة المختصرة في رحاب الإيمان من حيث ماهيّته، وأركانه وأهمّيّته، وشروطه في مسيرة الإنسان إلى الله، نستطيع أن نقف بشكل دقيق على حقيقة ومعنى (**اسْتغْفار إيمان**)، هذا الاستغفار ما دام منبعثاً عن روح مؤمنة صادقة في إيمانها، واعية بمعرفتها قد أدركت

---

(١) الكافي: ٣/٩٠-٩١، ح/١٥٢١.

بقدرها المعرفيّ شيئاً من عظمة الله تبارك وتعالى من حيث وجوده، ولطفه، وقدرته، وهيمنته، وفضله، ونعمه الّتي لا تعدّ ولا تحصى، وآمنت بأنَّها مقصّرة، وعاصية، ومتمرّدة على أوامر الله في أعمالها، وأنّها مسؤولة أمام الله تعالى في كلّ عمل عملته، وأنَّها ستحاسب وتعاقب على كلّ ما حفظته عليها ملائكة الله تعالى من مخالفات ومعاصٍ وذنوب في يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، حينئذ لا بدَّ من أن تنتفض على غفلتها، وتستيقظ من غفوتها، وتنبعث متوجّهةً إلى الله خاشعة، متضرّعة، راجية رحمته قائلة عن يقينٍ وصدقِ إيمانٍ لتجديد العهد مع الله تعالى، بعد أن نقضته لغفلة، أو شهوة، أو نسيان، أو غرور، وعرفت أنَّ الله تعالى غفور رحيم، قد فتح باب التّوبة لعباده، فاستغفرته راجيةً العفوَ، والغفرانَ، والقبولَ، والرّضوان...

إذن استغفار الإيمان هو الرّجوع إلى الله بصدق، والنّدم على ما وقع الإنسان فيه من مخالفات شرعيّة ومعاصٍ، والعزم على عدم العودة، والاستقامة على النّهج الإلهيّ بتأدية فرائض الله المُضيّعة، وحقوق النّاس المسلوبة، كلّ ذلك عن إيمان صادق بالله تبارك وتعالى؛ ولذا قيل: «**اسْتغْفارٌ إيمانٍ**»، وهو العلاج العمليّ الّذي يعيد العصاة إلى ربّهم، وبه يفتح الله لهم أبواب رحمته ﴿ **وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ**

﴿يَوۡمٍ كَبِيرٍ﴾[(١)].

٨- اسْتِغْفارُ إِقْرارٍ:

الإقرار لغةً هو الاعتراف، والتّسليم، والإخبار لآخر عليه، ويطلق على الإخبار بما سبق، و«على إثباتِ معنى الكلامِ، والحكمُ عليه بأنَّه هو المراد»[(٢)].

والفرق بين الإقرار والاعتراف هو أنَّ «الاعتراف هو الاقرار الَّذي صحبته المعرفة بما أقرَّ به مع الالتزام له؛ ولهذا يقال: الشّكر اعتراف بالنّعمة، ولا يقال إقرار بها؛ لأنَّه لا يجوز أن يكون شكراً إلا إذا قارنت المعرفة موقع المشكور، وبالمشكور له في أكثر الحال، فكلّ اعتراف إقرار، وليس كلّ إقرار اعترافاً، ولهذا اختار أصحاب الشّروط ذكر الإقرار لأنَّه أعمّ، ونقيض الاعتراف الجحد ونقيض الإقرار الإنكار»[(٣)].

وقيل: «الإقرار: هو التّكلّم بالحقّ، اللازم على النَّفس، مع توطين النَّفس على الانقياد والإذعان، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾[(٤)]، والاعتراف: هو التّكلّم بذلك، وإن لم يكن معه توطين،

---

(١) هود: ٣.

(٢) الطّراز الأوّل: ١٤٢/٩.

(٣) الفروق اللّغويّة: ٣٥.

(٤) البقرة: ٨٤

أو إنَّ الاعتراف هو ما كان باللّسان، والإقرار قد يكون به، وبغيره، بل بالقرائن، كما في حقّ الأخرس، وينطبق على الوجهين تسمية الشَّهادة بالتّوحيد: إقراراً لا اعترافاً، كما لا يخفى، وأهل اللّغة لم يفرقوا بينهما»[١].

والاستغفار هو نوعٌ من أنواع الإقرار؛ لأنَّه يستبطن اعتراف الإنسان على نفسه بالذّنوب والعصيان[٢]، أو التَّقصير في العمل على أقلّ تقدير، وإلا فلماذا يستغفر ويطلب المغفرة والعفو؟ وإنَّما أقدم الإنسان على الاعتراف والإقرار بعد أن أقرَّ لله بأنَّه مخلوق له تعالى، خاضع لقدرته ومشيئته، مملوك له بتمام العبوديّة، مُسَلّمٌ لحكمه، منفّذٌ لعهده الَّذي قطعه على نفسه إقراراً بالرّبوبيّة لله، قد خلع جميع الأنداد، موحّداً لله، ومتعبّداً

---

(١) فروق اللّغات: ٥٤.

(٢) إلا في استغفار المعصوم نبيّاً كان أو إماماً؛ فإنَّه لرفع الموانع عن طريق الكدح إلى الله؛ لأنَّ الاستغفار هو «الأصل العظيم للسَّالك في رفع الموانع، وقطع العلائق المانعة من السلوك على وجه الكمال؛ لأنَّ السّالك وإن اجتهد في السَّير، وبالغ في التَّقوى، فهو بعد في مقام التَّقصير، والتَّقصير مانع عظيم، والرّافع له هو الاستغفار، وأيضاً للسّالك مقامات كثيرة بعضها فوق بعض إلى أن يبلغ أعلاها، وهو مقام الفناء في الله، ولا ريب في أنَّ كلّ مقام سابق نقص بالنّسبة إلى المقام اللاحق، وكلّ مقام لاحق كمالٌ بالنّسبة إلى المقام السّابق، ومن هنا يظهر سرّ قولهم: «حَسَنَاتُ الأَبْرارِ سَيِّئاتُ الْمُقَرَّبينَ»، فلا ريب في أنَّ السّالك ما دام سالكاً، ولم ينته سلوكه إلى أرفع المقامات أو انتهى إليه، ورجع إلى ما دونه لإعانة سائر السّالكين، فهو في مقام نقص، والنَّقص تقصير، والتَّقصير يوجب الاستغفار، ومن هنا ظهر وجه استغفار المعصوم لنفسه»، شرح أصول الكافي للمولى المازندرانيّ: ٢١٦/٤-٢١٧.

لألوهيّة الله تعالى وحده لا شريك له، ليس كمثله شيءٌ، لا يحدّه زمان، ولا يحوزه مكان، ليس له أوّل وليس له آخر، كلّ شيء مخلوق له، وخاضع لإرادته، وهكذا حتّى أقرَّ لله بالمبدأ والمعاد، واعترف بفضله، وقدرته وإحسانه ووجوده، وعلى نفسه بالتّقصير والقصور والعصيان والمخالفات؛ لذلك بعد أن أدرك عظم كلّ ما أقرَّ به، واعترف له به على نفسه رجع إليه نادماً منكسراً خاضعاً ذليلاً مقرّاً بكلّ ذلك على نفسه، ولعلَّ هذا ما يدلّ عليه رواية جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**تَعَلَّموا سيِّدَ الاسْتغْفارَ: "اللّهمَّ، أَنْتَ ربّي، لا إلهَ إلا أَنْتَ خَلَقْتَني، وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنا عَلى عَهْدِكَ، وَأَبوءُ**[١] **بنعْمَتك عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبي، فَاغْفِرْ لي، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلا أَنْتَ"**»[٢].

ومن خلال التّأمّل في هذا الحديث الشَّريف يتّضح ما قدمناه من معنى هذا الاستغفار «**اسْتِغْفار إقْرارٍ**»، ففي الحديث إقرار لله: بالرّبوبيّة، وبالألوهيّة، والخالقيّة، والعبوديّة، وتجديد للعهد والميثاق.. وهكذا يتأكّد شموليّة هذا الاستغفار بأنَّه مراجعةٌ وافيةٌ للنَّفس في كلّ أساسيّات الإيمان في مسيرة الإنسان.

ولهذا ورد في بعض الأدعية: «**اللّهمَّ، ثَبِّتْني عَلى الإِقْرارِ بِكَ،**

---

(١) أبوء: باء – يبوء بوءاً – إليه: رجع، وبالذَّنب: أقرَّ.

(٢) معاني الأخبار: ١٤٠.

وَاحْشُرْنِي عَلَيْه، وأَلْحِقْنِي بالْعُصْبَة الْمُعْتَقدينَ لَهُ، الَّذينَ لَمْ يَعْتَرِضْهُمْ فيكَ الرَّيْب، ولَمْ يُخالِطْهُم الشَّكُّ...»[١].

وفي حديث الميثاق: «**واسْتَعْبَدَ الْخَلْقَ أَنْ يُجَدِّدوا عنْدَهُ في كُلِّ سَنَةٍ الإقْرارَ بِالْميثاقِ والْعَهْدِ الَّذي أَخَذَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِمْ**»[٢].

٩- اسْتِغْفارُ إِخْلاصٍ:

الإخلاص في الإسلام هو العمود الفقريّ في منظومة الفكر الإسلاميّ عقائديّاً ونظاميّاً، فلا قيمة للعمل مهما بلغت نتائجه مادّيّة أو معنويّة ما لم يكن منبعثاً عن تجرّد خالص لوجه الله من دون أي ضميمة أخرى؛ لأنَّ "قيمة العمل في الإسلام بالدّوافع لا المنافع"[٣]؛ فمهما كان العمل كبيراً ونافعاً ومفيداً إلا أنَّه إذا افتقر إلى الإخلاص، فلا قيمة له عند الله تعالى؛ لأنَّ الأصل في العمل في الإسلام أن يكون خالصاً من الدّوافع الذّاتيّة والمصالح الشّخصيّة، وحتّى العبادة لله تعالى يجب أن تتحرّر من هذه الدّوافع، وقد عبر الإمام عليّ عليه السلام عن عبادة المخلصين بعبادة المقربين، قال عليه السلام: «**الإخْلاصُ عبادَةُ الْمُقَرَّبينَ**»[٤].

وعلامة المخلص لله تعالى أن يكون منقطعاً عن الرَّغبة في جذب

---

(١) مصباح الزّائر: ٢٤٠.

(٢) الكافي: ١١/٨، ح/٦٧٠٨.

(٣) ينظر: موسوعة الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (الفتاوى الواضحة): ٧٦٣/١٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٧، ح/٣٨٩٣.

قلوب النّاس، ولفت أنظارهم إليه لنيل رضاهم أو إعجابهم بكلّ دوافعه، ومنقطعاً لله بكلّه، لا يبتغي غير رضاه، وهذه هي حقيقة العبادة، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**لا يَكونُ الْعَبْدُ عابداً لله حَقَّ عبادَته حتّى يَنْقَطعَ عَنِ الْخَلْقِ كُلِّهم إِلَيْه، فَحينَئذ يَقولُ: هذا خالصٌ لي، فَيَقْبَلُهُ بكَرَمه**»[1].

ومن العلامات الأساسيّة للمخلص أنّه حتّى لا يحبُّ أن يُحمَد على شيء من عمل الله؛ لما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنَّ لكُلِّ حَقٍّ حَقيقَةً، وَما بَلَغَ عَبْدٌ حَقيقَةَ الإِخْلاصِ حَتّى لا يُحبَّ أَنْ يُحْمَدَ على شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ الله**»[2].

ولأهمّيّة الإخلاص وَصَفَتْه النُّصوص الإسلاميّة بكمال التّوحيد، وثمرة اليقين، وأعلى درجات الإيمان، وأشرف نهاية، وملاك العبادة، وأعلى فوز وميزان التّفاضل في مراتب المؤمنين، وشيمة الأفاضل[3]، وقد جاء في الرّواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله مخبراً عن جبرئيل عن الله عزَّ وجلَّ أنّه قال: «**الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ أَسْراري، اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبادي**»[4].

ومن هنا لا بدَّ من الإخلاص في النّيّة والتّفكير والعمل، وعلى هذا

---

(١) التّفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٩٧، ح/١٨١.

(٢) روضة الواعظين: ٣٤٤/٢، ح/١٢٩٢.

(٣) هذه العبارات واردة في الأحاديث الشّريفة اقتبست منها قدر الحاجة، انظر تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٧-١٩٨.

(٤) موسوعة الشّهيد الثّاني (منية المريد): ٤٣/١.

أكّدت أحاديث أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَأَخْلِصْ لله عَمَلَكَ، وَعِلْمَكَ، وَحُبَّكَ، وبُغْضَكَ، وَأَخْذَكَ، وَتَرْكَكَ وكَلامَكَ، وَصَمْتَكَ».

«الْزَمِ الإخْلاصَ في السِّرِّ وَالْعَلانيَة، وَالْخَشْيَةَ في الْغَيْب وَالشَّهادَة، وَالْقَصْدَ في الْفَقْرِ وَالْغنى، وَالْعَدْلَ في الرِّضا وَالسَّخْط»[1].

والإخلاص في الاستغفار شرطٌ أساسيٌّ في قبوله عند الله؛ ولذا عندما يستغفر العبد ربّه بإخلاص وتجرّد عن أيّ دافع سوى كسب رضوانه بغفران ذنوبه، يكون قد فاز بالقدح المعلى؛ لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فازَ بالسَّعادَة مَنْ أَخْلَصَ الْعبادَةَ»[2].

وبناءً على ذلك: إنَّ على المستغفر أن يتوجّه إلى الله تعالى بكلّ ما يمتلك من طاقة روحيّة وفكريّة في عقله وقلبه وروحه، بل وفي جميع جوارحه، وفي أعمق جوانحه بخضوع وخشوع وبخوف وخشية، بصدق وتجرّد خالص لله؛ ليفوز باستغفار المخلصين.

١٠- اسْتِغْفارُ تَقْوى:

التّقوى من الوقاية، وهي حفظ الشّيء ممّا يؤذيه ويضرّه.. ثمَّ إنَّ «التَّقْوى جعل النَّفس في وِقايَةٍ ممّا يخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٧، ح/٣٩٠٠-٣٩٠١.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧، ح/٣٩٠٩.

الخوف تارة تَقْوًى، والتَّقْوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشّيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التَّقْوَى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات لما رُوِيَ: «**الْحَلالُ بَيِّنٌ، والْحَرامُ بيِّنٌ، ومَنْ رتَعَ حَوْلَ الْحِمى فَحَقيقٌ أَنْ يقَعَ فيه**» قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[1]،... ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[2]»[3].

والتَّقوى: «صيانة الشّيء عن المحرّمات الشّرعيّة والعقليّة والتّوجّه إلى الحقّ، وإلى تطهير العمل، وإلى الجريان الطّبيعيّ المعروف»[4].

هذا هو المعنى الإجماليّ لمعنى التّقوى لغويّاً.. وعلى كلّ حال فإنَّ مفهوم التّقوى في الإسلام في منظومة الفكر الإسلاميّ يشغل جميع الأبعاد الفكريّة والرّوحيّة، والأخلاقيّة، العمليّة والنَّظريّة؛ فإنَّ من يتتبّع كلمة التَّقوى في القرآن والسّنّة يجد أنّها الضَّرورة الأساسيّة في كلّ مقام معنويّ، فما من مقام من المقامات في العقائد الإسلاميّة والأحكام الفقهيّة أو الأخلاق الإسلاميّة إلا والتَّقوى عموده الفقريّ وروحه وجوهره، إذا خلا منها خلا من معناه، وفقد قيمته، وبذلك أصبحت كما قال أمير

---

(١) الأعراف: ٣٥.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٤٦، (وقى).

(٤) التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٠٣/١٣.

المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ التَّقْوى مُنْتَهى رِضا الله مِنْ عِبادِهِ وَحاجَتِهِ مِنْ خَلْقِه**»[١].

وخلاصة الكلام: أنَّ التَّقوى مَلَكَةٌ نفسيّةٌ تترسّخ بالتّورّع عن محارم الله، والخوف عن مخالفة أوامره، والرّجاء لرحمته، والمحبّة لله، فإذا اجتمع الخوف والرّجاء، والحبّ في نفس الإنسان بصورة واعية متوازنة تثمر التّقوى، وتولّد قوّة مقاومة إيجابيّة إزاء المخالفات الشّرعيّة، وعلى ذلك أكّدت النّصوص الشّريفة لأهل البيت عليهم السلام، فوصفت التَّقوى بأنّها «رأس الحسنات»، و«رئيس الأخلاق»، و«مفتاح الصّلاح»، و«أقوى أساس»، و«ثمرة الدّين وإمارة اليقين»، و«آكد سبب بين الله وبين عبده»، و«جُنّة من السّيّئات»، و«حصن حصين»، و«حرز لمن عمل به»، وخير الزّاد يتزوَّد فيه العبد في طريق الكدح إلى الله تعالى، ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٢].

والاستغفار أحد أبواب رحمة الله تعالى لعباده يجب أن يقترن بالتّقوى، ويلازمها، وإلا يصبح لقلقة لسان وألفاظ لا قيمة لها، فمعنى (**اسْتِغْفارٌ تَقْوى**) إمّا أن يكون معناه أنَّ العبد إنَّما يستغفر الله؛ لينال التّقوى؛ لأنّ الاستغفار إذا تمّ بشروطه كاملة فسيطهّر قلب الإنسان، ويزكّي نفسه، ويسمو به في معارج الكمال العقليّ، وبذلك تتحقّق

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٩، ح/٥٨٥٨.

(٢) البقرة: ١٩٧.

التّقوى، وإمّا أنّ معناه أنَّه يستغفر بدفع وتحريك من التّقوى المترسّخة في نفسه، والدّافعة له للارتقاء في سلّم الكمال الرّوحيّ والفكري والأخلاقيّ، ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾[1].

١١- اسْتِغْفارُ تَوَكُّلٍ:

التّوكّل هو الاعتماد المطلق على الله عزَّ وجلَّ، بتفويض الأمر إليه تعالى، واستمداد القوّة والهداية والرَّشاد منه، واليأس عن كلّ قوة سواه، والسّعي الجدّي في امتثال أوامره، والانتهاء عمّا نهى عنه، وحذّر منه، واليقين بأنّه تعالى مصدر القوّة الوحيد، والإيمان بأنَّ كلَّ قوّة مستمدّة منه تعالى، ولا استقلال لأحد عنه مهما بلغ من القوّة، والعلوّ، والتّسلّط، والملك، والسَّلطان... فالأمر إليه عزَّ وجلَّ، والأسباب بيده، وعلى الإنسان أن يتحرّك فيما شَرّع له، وأمره به؛ امتثالاً لما أراده تعالى منه، متوكّلاً عليه في تنفيذ ما أمره به تعالى، طالباً منه التَّسديد، والتّأييد والتَّوفيق، والرّعاية لطاعته تسليماً لأمره، والسَّعي الجاد لسّلوك منهجه الَّذي شرعه للإنسان، ووضعه تحت رقابته؛ ليجزيه بمقدار سعيه، وهذا مدلول قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ

---

(١) هود: ٣.

ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[١].

وخلاصة الكلام: أنَّ الإنسان في كدحه إلى الله تعالى لا بدَّ له من قوّة معنوية، تمدّه بالإرادة، والعزم، والتَّصميم؛ لمواصلة المسير لينال رضوان الله، وقوّة مادّيّة يستطيع من خلالها الوصول إلى أهدافه الَّتي يبغي الوصول إليها... والواقع أنَّها قوّة واحدة هي القوّة الَّتي يستمدها العبد من توكّله على الله تعالى؛ لأنَّ الله مالك الملك كلّ شيء بيده، خاضع لإرادته؛ ولهذا ينبغي أن يؤمن السّالك لسبيل الله أنَّه حتّى القوى المادّيّة هي مِنْحة منه لعباده، وهذه القوى المادّيّة مستمدّة من القوّة المعنويّة، وهي الإيمان أنَّه (لا مؤثر في الوجود إلا الله)، وأنَّ الَّذي يمدّ الإنسان بهذا هو يقينه بأن لا شيء خارج عن قدرة الله.

فحقيقة التّوكّل هي اليقين، والثّقة بأن الله هو المعطي، وهو الآخذ؛ ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فِي التَّوَكُّلِ حَقِيقَةُ الإيقانِ**».

«**مَنْ وَثِقَ بِاللهِ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ**»[٢].

وقوّة التّوكّل تتناسب تناسباً طرديّاً مع ثقة المتوكّل بالله تعالى أنَّه مسبّب الأسباب، قال عليه السلام: «**حُسْنُ تَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَى اللهِ عَلَى قَدْرِ ثِقَتِهِ بِهِ**»[٣].

---

(١) النّجم: ٣٩-٤٢.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٦، ح/٣٨٥٣-٣٨٥٤.

(٣) المصدر نفسه: ح/٣٨٥٢.

وقد اشتبه البعض، فعدَّ الاتّكال توكّلاً، وهذا خطأ فظيع، فالاتّكال هو أن يرمي كَلَّه على غيره من دون تحرّك ولا طاعة، وإنّما جمود في دائرة الوكيل، أمّا التّوكّل فهو تفويض مع حركة وعمل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**التَّوَكُّلُ أَفْضَلُ عَمَلٍ**»(١).

«فحقيقة التّوكّل إنّما هو إيجاد السَّبب، وإرادة تحقّقه بمشيئة الله سبحانه وإرادته، فاتّضح بذلك أنَّ من يريد حصول المسبّب بلا تحصيل السّبب فليس هو من المتوكّلين؛ لما مرَّ من أن الله تعالى قد جرت سنّته بتحقّق الأمور من طرق الأسباب وما هو أفعال العباد، وإلا لبطلت الشّرائع والتّكاليف والثّواب والعقاب والجنّة والنّار»(٢).

وممّا يؤكّد هذا المعنى رواية «**اعْقِلْ وتَوَكَّلْ**» المشهورة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، قال العلامة المجلسيّ: «ثمَّ إنَّ التّوكّل ليس معناه ترك السّعي في الأمور الضَّروريّة، وعدم الحذر عن الأمور المحذورة بالكلّيّة، بل لا بدّ من التّوسّل بالوسائل والأسباب على ما ورد في الشريعة من غير حرص ومبالغة فيه، ومع ذلك لا يعتمد على سعيه، وما يحصله من الأسباب، بل يعتمد على مسبّب الأسباب، قال المحقّق الطّوسيّ قدس سره في أوصاف الأشراف: المراد بالتّوكّل أن يكل العبد جميع ما يصدر عنه، ويرد عليه إلى الله تعالى، لعلمه بأنَّه أقوى وأقدر، ويضع ما قَدر عليه على وجه

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٦، ح/٣٨٥٧.

(٢) موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام: ٢٣١/٣٣.

أحسن وأكمل، ثمّ يرضى بما فعل، وهو مع ذلك يسعى ويجتهد فيما وكله إليه، ويعدّ نفسه وعمله وقدرته وإرادته من الأسباب والشّروط المخصّصة، لتعلّق قدرته تعالى، وإرادته بما صنعه بالنّسبة إليه»[١].

وقد أوجز معنى التّوكّل في حديث جبرئيل للنّبيّ ﷺ بأنّه «**الْعِلْمُ بِأَنَّ الْمَخْلوقَ لا يَضُرُّ، وَلا يَنْفَعُ، وَلا يُعْطِي، وَلا يَمْنَعُ، وَاسْتِعْمالُ الْيَأْسِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِذا كانَ الْعَبْدُ كَذلكَ لَمْ يَعْمَلْ لأَحَدٍ سوى الله، وَلَمْ يَرْجُ، وَلَمْ يَخَفْ سِوى الله، وَلَمْ يَطْمَعْ في أَحَدٍ سِوى الله، فَهذا هُوَ التَّوَكُّلُ**»[٢].

وخلاصة الكلام أنَّ من وعى حقيقة التّوكّل كما أراده الله في كتابه وسنّة رسوله ﷺ يتحقّق له اطمئنان النَّفس، والاستقامة في السُّلوك، والثَّبات في السّرّاء والضّرّاء، والكفاية في مطالب الحياة أجمع، يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا**﴾[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الثِّقَةُ بالله حِصْنٌ لا يَتَحَصَّنُ به إلا مُؤْمِنٌ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْه نَجاةٌ مِنْ كُلِّ سوءٍ، وَحِرْزٌ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ**»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ١٢٧/٧١.

(٢) معاني الأخبار: ٢٦١.

(٣) الطّلاق: ٣.

(٤) أعلام الدّين في صفات المؤمنين: ٢٥٦.

بعد هذا يمكن أن نفهم حقيقة (**اسْتِغْفار تَوَكُّلٍ**)، ولعلَّ معناه هو أن الإنسان عندما يرجع إلى الله مستغفراً راجياً مغفرته وعفوه لا بدَّ من أن يكون على يقين بأنَّه لا يحصل على مرامه إلا بلطف الله وعنايته وتوكّله على الله تعالى؛ لأنَّ التّوكّل على الله (خير عماد)، وبضاعة المؤمن إلى الله، والحصن الَّذي يحتمي به من عوادي الدّهر، وتجسيداً لحقيقة الإيمان، والإقبال على الله متجرّداً عن كلّ حول وطول، معتمداً عليه تعالى في تسديد حركته، ومدّه بالقوّة لمواصلة عمله، يائساً من كل أحد سواه.

ولا يحصل التّوكّل للعبد إلا بعد وعي الأصول العقائديّة في الإسلام بصورتها القرآنيّة كما تجسّدت في سلوك المتوكّلين بمختلف درجاتهم.. جعلنا الله من المستغفرين المتوكّلين.

١٢- اسْتِغْفارُ ذِلَّةٍ:

حين يقف العارف بين يدي ربّه المتعال، يشعر بالذّلّة والصّغار عند الله تعالى، وكلّما ارتفعت معرفته بالله تعالى ازداد ذُلاً له؛ وكلّما تذلّل وخشع وتواضع في نفسه بصدق وإخلاص ووعي ارتفع عزّاً عند الله وعند النّاس؛ لأنَّه اعتز بامتثال أوامر الله تعالى وتصاغر بين يديه، وتحرّر عن الخضوع لغير الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**أَعِزَّ أَمْرَ اللهِ يُعِزَّكَ اللهُ**»[١].

(١) كنز العمّال: ٧٧٧/١٥، ح/٤٣٠٦٣.

وعنه ﷺ: «**التَّذَلُّلُ لِلْحَقِّ أَقْرَبُ إِلى الْعِزِّ مِنَ التَّعَزُّزِ بِالْباطِلِ**»(١).

وفي حديث آخر، قال ﷺ: «**مَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ في طاعَةِ اللهِ فَهُوَ أَعَزُّ مِمَّنْ تَعَزَّزَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ**»(٢).

ولذا لا يمكن للإنسان أن يعيش عزيزاً ما لم يترسّخ في نفسه الخشوع، والتّضرّع، والتّذلّل لله تعالى، واليأس ممّا في أيدي النّاس؛ قال الإمام الباقر عليه السلام: «**الْيَأْسُ مِمّا في أَيْدي النّاسِ عِزٌّ لِلْمُؤْمِنِ في دينِه، أَوَ ما سَمِعْتَ قَوْلَ حاتِم:** [من الطّويل]

إِذا ما عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَلْفَيْتَهُ الْغِنى ... إِذا عَرَفْتَهُ النَّفْسُ وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ»(٣)

وأروع صور التّعزّز بالله ما جاء في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلهي، كَفى بي عِزّاً أَنْ أَكونَ لَكَ عَبْداً، وَكَفى بي فَخْراً أَنْ تَكونَ لي رَبّاً، إلهي، أَنْتَ لي كَما أُحِبُّ، وَفِّقْني لما تُحِبُّ**»(٤).

ولَذلك فإنَّ العبادات الإسَلاميّة تركّز رَوح العَبوديّة لله تعالى في النَّفس الإنسانيّة، ولا شكَّ أنَّ العبوديّة لله هي أقصى درجات التّحرّر المادّيّ والمعنويّ، قال الامام الحسين عليه السلام: «**أَيُّها النّاسُ، إِنَّ اللهَ جَلَّ**

---

(١) كنز العمّال: ١١٤/١٦، ح/٤٤١٠١.

(٢) المصدر نفسه: ٧٨١/١٥، ح/٤٣٠٨٤.

(٣) الكافي: ٣٨٢/٣، ح/١٩٧٠.

(٤) كنز الفوائد: ٣٨٦/١.

ذكْره ما خلقَ الْعبادَ إلا ليعْرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغْنَوا بعبادته عنْ عبادة منْ سواه»[١].

ولعلّه لهذا جاء في رواية عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**ينْبَغي للْمصلّي أنْ يباشر بجبْهته الأرْض، ويعفّر وجْهه في التُّراب؛ لأنَّه من التَّذلُّلِ لله عزَّ وجلَّ، والإكْبار له**»[٢].

وفي كتاب ذكرى الشّيعة للشَّهيد الأوّل قدس سره: «يستحبّ فيها تعفير الجبين بين السَّجدتين، لما مرَّ، وكذا تعفير الخدّين، وهو مأخوذ من العَفَر - بفتح العين والفاء - وهو التُّراب»[٣].

وتعفير الجبين[٤] تأكيد للتّذلّل لله تعالى، وهي سمة يتحرّر الإنسان بها من كلّ ألوان العبوديّة سواء كانت عبوديّة النَّفس، أو الشَّيطان، أو الطّواغيت، وهذا التّحرّر أقصى أمنيات رسل الله، وأنبيائه، وأوصيائهم؛ ولذلك نجد الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «**وذلّلْني بيْن يديْك، وأعزَّني عنْد خلْقك، وضعْني إذا خلوْت بك، وارْفعْني بيْن عبادك، وأغْنني عمَّنْ هو غنيٌّ عنّي، وزدْني إليْك فاقةً وفقْراً**»[٥].

---

(١) علل الشّرائع: ٥٦.

(٢) دعائم الإسلام: ١٧٨/١؛ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١٤/٤، ح/٤٠٥٩.

(٣) موسوعة الشّهيد الأوّل (ذكرى الشّيعة): ٣٧٦/٧.

(٤) تعفير الجبين: تمريغها في التّراب أثناء السّجود، ويراد بها المبالغة في السّجود.

(٥) الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ١٩٨-١٩٩، دعاء: ٤٧.

ويقول: «**اللّهمَّ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، ولا تَرْفَعْني في النّاس دَرَجَةً إلا حَطَطْتني عنْدَ نَفْسي مثْلَها، ولا تُحْدثْ لي عزّاً ظَاهراً إلا أَحْدَثْتَ لي ذلَّةً باطنَةً عنْدَ نَفْسي بقَدَرها**»[١].

وهنا نرى أنَّ الإمام عليه السلام يسأل الله تعالى «إفاضة قوّة على عقله يقوى بها على قهر النَّفس، وتذليلها بالاتّصاف بالخضوع والخشوع والاستكانة والافتقار حال عبادته، وملاحظة عظمته وجلاله عزّ وجلّ، وهو روح العبادة»[٢].

وفي الحديث عَنْ أَبي عَبْد الله عليه السلام، قالَ: «**أَوْحى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إلى موسى عليه السلام: أَنْ يا موسى، أَتَدْري لمَ اصْطَفَيْتُكَ بكَلامي دُونَ خَلْقي؟ قال: يا رَبِّ، ولَمَ ذاكَ؟ قال: فَأَوْحى اللهُ تَبارَكَ وتَعالى إلَيْه: يا موسى، إنّي قَلَّبْتُ عبادي ظَهْراً لبَطْن فَلَمْ أَجدْ فيهمْ أَحَداً أَذَلَّ لي نَفْساً منْكَ، يا موسى، إنَّكَ إذا صَلَّيْتَ وَضَعْتَ خَدَّكَ على التُّراب، أَوْ قالَ عَلى الأَرْض**»[٣].

وفي رواية أخرى ممّا نَاجى الله تعالى به موسى عليه السلام: «**يا موسى، كُنْ إذا دَعَوْتَني خائفاً مُشْفقاً وَجلاً، عَفِّرْ وَجْهَكَ لي في التُّراب،**

(١) الصَّحيفة السّجّاديّة الكاملة: ٨٢، دعاء: ٢٠.

(٢) رياض السّالكين: ٩٩/٧.

(٣) الكافي: ٣١٨/٣، ح/١٨٦٩.

وَاسْجُدْ لي بِمَكارِمِ بَدَنِك، واقْنُتْ بَيْنَ يَدَيَّ في الْقِيامِ، ونَاجِنِي حين تُناجيني بِخَشْيَة منْ قَلْب وَجِلٍ»(١).

والنَّتيجة أنَّ «**اسْتِغْفارَ ذِلَّة**» هو: أنَّ العبد المستغفر كلّما عمّق في نفسه التّذلّل لله ازداد قرباً من الله تعالى، والغرض أنَّ التّذلّل في الاستغفار هو وسيلة للتّقرّب إلى الله تعالى.

١٣- اسْتِغْفارُ عامِلينَ وَجِلينَ:

مهما يعمل المخلصون لله يبقى الوجل يلازمهم؛ لأنَّهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتّقين: «**لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمونَ، وَمِنْ أَعْمالِهِمْ مُشْفِقونَ**»(٢).

وفي حديث آخر له عليه السلام: «**الْمُؤْمِنونَ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمونَ، وَمِنْ فارِطِ زَلَلِهِمْ وَجِلونَ**»(٣) شعوراً منهم بالتَّقصير والقصور أمام الله تعالى؛ ولذلك ترى أحدهم «**يَعْمَلُ الأَعْمالَ الصّالِحَةَ وَهُوَ عَلى وَجَلٍ**»(٤) خوفاً من عدم صدق النّيّة لله تعالى، أو عدم أداء العمل كما أراده الله تعالى، فلا يحظى بالقبول عند الله.

ولعلَّ السّرّ في ذلك أنَّ العارف بالله يدرك شيئاً من عظمة الله في

---

(١) الكافي: ١٢٣/١٥، ح/١٤٨٢٣.

(٢) نهج البلاغة: ٣٣٣، خطبة: ١٩٣.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٠، ح/١٥٤٤.

(٤) نهج البلاغة: ٣٣٣، خطبة: ١٩٣.

علمه وقدرته وإرادته، وقاهريّته كما يدرك ضآلة نفسه في كلّ شيء من حيث فقره وحاجته، ومحدوديّة بقائه، واستمراريّة وجوده، وقُصر حياته، وتناقض قوّته، وهزالة عمله، مستحضراً ذنوبه ومعاصيه، فحينئذ مهما عمل من يبقى وجلاً مشفقاً من سوء عاقبته راجياً رحمة ربّه.

ولهذا نرى في سيرة المعصومين عليهم السلام خوفاً وخشيةً وخضوعاً وتوسّلاً وضراعةً لله تعالى قائلاً:

«اللّهمَّ، إنّي عَبْدُكَ، وابْنُ عَبْدَيْكَ، هاربٌ منْكَ إلَيْكَ، أَتَيْتَكَ وافداً إلَيْكَ، متأَوّياً منْ ذُنوبي إلَيْكَ»[1].

«وأَنا يا سيِّدي، عائذٌ بفَضْلكَ، هاربٌ منْكَ إلَيْكَ، متنجِّزٌ ما وَعَدْتَ من الصَّفْح عمَّنْ أَحْسَنَ بكَ ظَنّاً»[2].

«وها أَنا متعرِّضٌ لنَفَحاتِ روحكَ، وعَطْفكَ، ومنْتَجعٌ غَيْثَ جودكَ ولُطْفكَ، فارٌّ منْ سَخَطكَ إلى رضاكَ، هاربٌ منْكَ إلَيْكَ»[3].

ومعنى «هارب منك إليك»: «أي هارب من قهرك وغضبك إلى رحمتك ورأفتك، وهارب من عدلك إلى كرمك، إذ لو كان الله تعالى يحاسبنا بعدله هلكنا، إلا أنّنا نأمل من كرمه أن يعفو عنّا»[4].

وهكذا يتّضح أنَّ استغفار عمل أي أن يستغفر الإنسان ربّه راجياً

---

(١) إقبال الأعمال: ٥٩٦، ومتأوّياً أي آوياً من المأوى.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٤٥/٩٤.

(٤) شرح دعاء الأسحار: ٤٩.

غفران ذنوبه، عاملاً بما أمره الله به، منتهياً عمّا نهاه من المعاصي الَّتي استغفر الله منها، متعهّداً بعدم العودة إليها راجياً قبول توبته وأعماله الصّالحة.

صِيَغُ الاسْتِغْفارِ:

يختلف الاستغفار باختلاف من يطلب الاستغفار، ويتحقّق الاستغفار بأيّ صيغة أو لفظ يدلّ على طلب المغفرة؛ فإنَّه استغفارٌ حقيقة إذا لم يؤخذ في مفهوم الاستغفار صيغة خاصة.

وقد ذُكِرَت صيغ محدّدة نذكر منها:

١- «**اللّهمَّ، اغْفرْ لي**».

٢- «**اللّهمَّ، اغْفرْ لَنا**».

٣- «**اللّهمَّ، اغْفرْ للْمؤْمنينَ وَالْمؤْمنات**».

٤- «**اللّهمَّ، اغْفرْ للَّذينَ تابوا وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ**».

٥- في قنوت الوتر، وبين السَّجدتين، وبعد الفراغ من الصَّلاة مثلاً، يقول: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأتوبُ إِلَيْه**».

٦- وتقدم في هذا البحث حديث جابر الانصاري عن النبي ﷺ بانه قال: «**تَعَلَّموا سَيِّدَ الاسْتغْفارَ: "اللّهمَّ، أَنْتَ رَبّي، لا إلهَ إلا أَنْتَ خَلَقْتَني، وأَنا عَبْدُكَ، وَأَنا عَلى عَهْدِكَ، وأَبوءُ[1] بِنِعْمَتكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ**

---

(١) أبوء: باء - يبوء بوءاً - إليه: رجع، وبالذَّنب: أقرَّ.

لَكَ بِذَنْبي، فَاغْفِرْ لي، إِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلا أَنْتَ"»[١].

بناء على هذا الحديث الشّريف إنَّ أفضل صيغ الاستغفار هي هذه الصَّيغة، والله العالم.

وممّا ينبغي الإشارة إليه: أنَّ أفضل صيغ الدّعاء والاستغفار ما ورد عن النّبيّ وآله عليه وعليهم صلوات الله وسلامه؛ ولذا ينبغي أن يلتزم الدّاعي المستغفر في تلك النّصوص الشّريفة بل عدم التّعدّي إلى غيرها[٢].

ففي رواية عَبْد الله بن سنان قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **سَتُصيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَوْنَ بلا عَلَمٍ يرى، وَلا إمام هُدًى، وَلا يَنْجو منْها إلا مَنْ دَعا بدُعاء الْغَريق.** قُلْتُ: كَيْفَ دُعاءُ الْغَريق؟ قالَ: **يقولُ: "يَا اللهُ يَا رَحْمنُ يا رَحيمُ، يَا مُقَلِّبَ الْقُلوب، ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دينكَ"**، فَقُلْتُ: يا اللهُ، يا رَحْمنُ، يا رَحيمُ، يا مُقَلِّبَ الْقُلوب وَالأَبْصار، ثَبِّتْ قَلْبي على دينكَ، قالَ: **إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَلِّبُ الْقُلوب وَالأَبْصار، ولَكنْ قُلْ كَما أَقولُ لَكَ: "يا مُقَلِّبَ الْقُلوب ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دينك"»**[٣].

وفي حديث العَلاَء بْنِ كاملٍ، قال: «سَمَعْتُ أَبا عَبْد الله عليه السلام يَقولُ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٤] **عنْدَ الْمَساء: لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَه، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيي**

---

(١) معاني الأخبار: ١٤٠.

(٢) ينظر: موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام: ١٢/٩٢-٩٣.

(٣) كمال الدّين وإتمام النّعمة: ٣٥١-٣٥٢.

(٤) الأعراف: ٢٠٥.

ويميت، ويميت ويحيي، وهو على كلّ شيء قدير»، قال: «**قُلْتُ: بيده الْخَيْرُ**؟، قال: **إنَّ بيده الْخَيْرَ، ولكنْ قُلْ كما أقولُ لكَ عشر مرّات، وأعوذُ باللهِ السَّميعِ الْعليمِ حين تطْلُعُ الشَّمْسُ، وحين تغْرُبُ عشر مرّات**»[١].

فقوله عليه السلام: «**ولكنْ قُلْ كما أقولُ لكَ**» «دلَّ على أنَّه لا ينبغي إضافة شيء إلى الدّعاء المأثور، وإن كان في الإضافة زيادة ثناء، ولها حسن موقع؛ لأنَّ الفضل المرتّب عليه لا يدرك بالعقل، بل بالسَّمع فلا يغيّر، ولعلَّ لهذا التَّرتيب الخاصّ تأثيراً لبعض الأمور كما أنَّ لهذا العدد أعني عشر مرّات تأثيراً»[٢].

وأكّد ذلك بعض الفقهاء بقوله: «يدلّ على لزوم متابعتهم عليهم السلام في الدّعوات والأذكار المأثورة عنهم، من غير زيادة ونقصان فإنّهم أهل الذّكر، الَّذين أُمرنا بالسّؤال عنهم، واقتفاء آثارهم، وهو عليه السلام لم يستفصل بين أن يقوله بقصد الورود، أو بقصد مطلق الذّكر»[٣]، ولكن حُمل على كون الأمر إرشاديّاً وكونه أفضل، إذ «إنَّ لكلّ دعاء وذكر أثراً خاصّاً كالأدوية والعقاقير لكن لا يحصل الأثر المقصود منها إلا بالتَّرتيب والتَّركيب المأخوذ عن الطَّبيب الحاذق، وإن كان لها أثر أيضاً بغير ذلك

(١) الكافي: ٤٣٢/٤، ح/٣٢٩٥.

(٢) المولى المازندرانيّ، شرح أصول الكافي: ٣٤١/١٠.

(٣) مكيال المكارم في فوائد الدّعاء للقائم عليه السلام: ٧٤/٢.

التَّرتيب، فكذلك الدَّعوات والأذكار لا يحصل الأثر الخاصّ منها إلا بمراعاة الكيفيّة الخاصّة المأثورة عن الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام الَّذين هم أطبّاء النّفوس»[١].

أفْضَلُ أوْقاتِ الاسْتِغْفارِ:

الاستغفار محبوب في كلّ وقت، ولكن هناك أوقات مخصّصة يستحب فيها الاستغفار دلّت عليها آياتٌ كريمةٌ، وأحاديث شريفة.

١- وقت السَّحر:

وهو من الأوقات الَّتي تتنزّل فيها الرَّحمة، وتفتح فيها أبواب السَّماء للدّاعين والذّاكرين، وفرص استجابة الدّعاء فيها أعظم؛ ولذا فهي أفضل أوقات اللَّيل للاستغفار، يقول تعالى في مدح صفات المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣].

وهاتان الآيتان أفضل دليل على أهمّيّة الاستغفار في وقت السَّحر وأفضليّة الدّعاء والذّكر والاستغفار فيه على غيره؛ فقد «مدح الله تعالى المستغفرين في وقت السّحر، وهو قبل الصّبح على ما قاله أصحاب اللّغة، فدلّ على أفضليّة الدّعاء فيه، والإنابة على غيره، والصّلاة فيها الدّعاء

---

(١) مكيال المكارم في فوائد الدّعاء للقائم عليه السلام: ٧٥/٢.

(٢) آل عمران: ١٧.

(٣) الذّاريات: ١٨.

والاستغفار»[١].

وفي كتاب الخلاف للشّيخ الطّوسيّ حول قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ : «فمدح المستغفرين أوقات السّحر يدلّ على أنَّ الدّعاء فيه أفضل، والصَّلاة فيها الدّعاء والاستغفار»[٢].

وقد روى محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتُه يقول: **كانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله: إذا صَلّى الْعشاءَ الآخرَةَ أَوى إلى فراشه لا يُصلّي شَيْئاً إلا بَعْدَ انْتصاف اللَّيْلِ لَا في شَهْرِ رَمْضانَ وَلَا في غَيْره**»[٣].

ويروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه كان في ليالي القدر يأخذ «**في الدُّعاء حَتّى يَزولَ اللَّيْلُ**[٤]**، فَإذا زالَ اللَّيْلُ صَلّى**»[٥].

وأمّا الأحاديث الشَّريفة؛ فقد ورد كثير من الأحاديث الشّريفة تحبّب لنا الاستغفار والدّعاء في هذا الوقت منها، رُوِيَ عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**أَنَّ مَن اسْتَغْفَرَ اللهَ سَبْعينَ مَرَّةً في وَقْت السَّحَر، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هذه الآيَة**»[٦].

---

(١) منتهى المطلب في تحقيق المذهب: ٩٧/٤.

(٢) الخلاف: ٥٣٣/١.

(٣) تهذيب الأحكام: ١٢٦/٢، ح/٤٤٣.

(٤) يقصد بزوال اللّيل انتصافه.

(٥) الكافي: ٦١٧/٧، ح/٦٦١٧.

(٦) التّبيان في تفسير القرآن: ٤١٦/٢.

وفي الصَّحيح عن عمر بن يزيد الثّقة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «مَنْ قالَ في وتْره إذا أَوْتَر: "أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتوبُ إِلَيْه" سبْعين مَرّةً، وهُوَ قائمٌ، فَواظَبَ على ذلكَ حتّى يَمْضيَ لَهُ سَنةٌ كَتبَهُ اللهُ عنْدَهُ منَ الْمُسْتَغْفِرينَ بالأَسْحارِ، ووَجبَتْ لَهُ الْمَغْفرَةُ منَ الله عَزَّ وَجلَّ»[1].

وعن زرارة قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: مَنْ داوَمَ علَى صَلاة اللَّيْل والْوتْر، واسْتَغْفَرَ اللهَ في كُلِّ وتْر سَبْعين مرةً، ثُمَّ واظَبَ علَى ذلكَ سَنَةً، كُتبَ منَ الْمُسْتَغْفرينَ بالأَسْحار»[2].

٢- شَهر رمضانَ:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قالَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ صَلَواتُ الله عَلَيْه: عَلَيْكُمْ في شَهْر رَمَضانَ بكَثْرَة الاسْتغْفار والدُّعاء، فَأَمّا الدُّعاءُ، فَيُدْفَعُ به عَنْكُمُ الْبَلاءُ، وأَمّا الاسْتغْفارُ، فَيَمْحي ذُنوبَكُمْ»[3].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: «كانَ عليُّ بْنُ الْحُسَيْن عليهما السلام إذا كانَ شَهْرُ رَمَضانَ، لَمْ يَتكَلَّمْ إلا بالدُّعاء والتَّسْبيح والاسْتغْفار والتَّكْبير، فإذا أَفْطَرَ قالَ: اللّهُمَّ، إنْ شئْتَ أَنْ تَفْعلَ، فعلْتَ»[4].

---

(١) كتاب الخصال: ٥٨١.

(٢) تفسير العيّاشيّ: ١/٢٩٤، ح/٦٥٢.

(٣) الكافي: ٧/٤٤٠، ح/٦٣٢٦.

(٤) المصدر نفسه: ٧/٤٤٠-٤٤١، ح/٦٣٢٧.

وعن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام: «**إنَّ لكُلِّ صائمٍ عنْدَ فُطوره دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، فَإذا كانَ أَوَّلُ لُقْمَة، فَقُلْ: بسْمِ الله، يا واسِعَ الْمَغْفرَة، اغْفرْ لي**»(١).

ورُوِيَ عن النَّبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**ما منْ عَبْد يَصومُ فَيَقولُ عنْدَ إفْطاره: "يا عظيمُ يا عَظيمُ أَنْتَ إلهي لا إلهَ لي غَيْرَكَ، اغْفرْ لي الذَّنْبَ الْعَظيمَ، إنَّه لا يَغْفرُ الذَّنْبَ الْعَظيمَ إلا الْعَظيمُ" إلا خَرَجَ منْ ذُنوبه كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه**»(٢).

٣- ليالي الجمع وأيامها:

وردت فيها روايات تؤكّد على الاستغفار في ليالي الجمع طول اللّيل، فعن الإمام الرّضا عليه السلام روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى يُنْزلُ مَلَكاً إلى السَّماء الدُّنيا كُلَّ لَيْلَة في الثُّلُث الأَخير، ولَيْلَةَ الْجُمُعَةَ في أَوَّل اللَّيْل، فَيَأْمُرُهُ فَيُنادي هَلْ منْ سائلٍ فَأُعْطيه؟ هَلْ منْ تائبٍ فَأَتوبَ عَلَيْه؟ هَلْ منْ مُسْتَغْفرٍ فَأَغْفرُ لَهُ؟ يا طالبَ الْخَيْرِ أَقْبلْ**» (٣).

وعن موسى بن أكيل النّميريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَنْ**

---

(١) تفصيل وسائل الشّيعة: ١٠/١٤٩، ح/١٣٠٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٠/١٤٩، ح/١٣٠٧٥.

(٣) التَّوحيد: ١٧٦.

يَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعالى يَوْمَ الْجُمُعَة بَعْدَ الْعَصْرِ سَبْعِينَ مَرَّةً، يَقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتوبُ إِلَيْه، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ فيما سَلَفَ، وَعَصَمَهُ فيما بَقِيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَنْبٌ غُفِرَ لَهُ ذُنوبُ والِدَيْه»[١].

مِنْ آدابِ الاسْتِغْفارِ:

للاستغفار شروط أساسيّة وردت في النّصوص الشّريفة يجب أن تتوفّر في المستغفر؛ ليكون مقبولاً منها:

١- النّدم على ما مضى من فعل الذّنوب، والعزم على عدم العودة إليها، وإلا سيكون الاستغفار هواءً في شبك لا قيمة له، بل أكثر من هذا كما ورد في الحديث أنَّه يعد استهزاء بالله تعالى، كما ورد في خبر الإمام الرّضا عليه السلام أنَّه قال: «**الْمُسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبٍ وَيَفْعَلُهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّه**»[٢].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «**مَنِ اسْتَغْفَرَ بِلِسانِه، وَلَمْ يَنْدَمْ، فَقَدِ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِه**»[٣].

٢- أداء حقوق الله: وهو عبارة عن قضاء ما ضيّعه من فرائض الله كقضاء الصّوم والصّلاة والزّكاة والخمس، فإذا أدّاها على وجهها الصّحيح منها يستغفر ويتوب، وإلا فلا قيمة لاستغفاره.

٣- أداء حقوق النّاس الّتي انتهكها، فمن انتهك من حقوق النّاس

---

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ٩٥/٦، ح/٦٥١٥.

(٢) الكافي: ٣٧٩/٤، ح/٣٢٢٣.

(٣) كنز الفوائد: ٣٣٠/١.

شيئاً، فعليه أن يؤدّيه إليه أو بطلب العفو من صاحبه ليبرئه الذّمّة.

٤- إذاقة الجسم ألم الطّاعة كما ذاق لذّة المعصية، والحزن والأسف على ما فرط منه من معاصٍ كما ورد في حديث أمير المؤمنين عليه السلام لمستغفر أمامه بقوله: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي ما الاِسْتِغْفارُ؟...**» الَّذي تقدَّم.

مِقْدارُ الاسْتِغْفارِ:

لم يحدّد الشّارع المقدّس مقداراً أو طريقة للاستغفار إلا ما ورد في النّصوص الشّريفة في السّنّة الشّريفة نذكر منها:

١- سبعين مرّة في ركعة الوتر.

٢- سبعين مرّة أو مائة مرة في كلّ يوم، وهو غفران سبعمائة.

٣- خمساً وعشرين مرّة في المجلس.

٤- سبعين مرّة يوم الجمعة.

وغيرها، كعند استيلاء الهموم، وتعسّر الرزق، وجدوبة الأرض، وحرمان الولد[1].

إلا أنّ المحقّق الجواهريّ رحمه الله بعد أن ذكر حديث الحارث بن مغيرة عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «**كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ يَوْمٍ سَبْعينَ مَرَّةً، وَيَتوبُ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبْعينَ مَرَّةً**»، قال: «قُلْتُ: كَيْفَ كانَ يَقولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتوبُ إِلَيْهِ؟ قالَ:

(١) ينظر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ١٩٨/٧.

كانَ يَقولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، سَبْعينَ مرَّةً، ويَقولُ: وأَتوبُ إلى اللهِ، وأَتوبُ إلى اللهِ، سَبْعينَ مرَّةً»[1]، قال رضوان الله عليه: «هذا ولكن لا يخفى عليك عدم اعتبار العدد المخصوص، ولا الكيفيّة، ولا غيرها في وظيفة الاستغفار بالأسحار، بل ولا كونه في الوتر، لصدق الاسم، وعموم اللّفظ في الآية وغيرها، فما ورد من تفسير ذلك بالاستغفار سبعين مرّة في صلاة الوتر محمول على الفرد الأكمل، وأمّا اعتبار المواظبة والاستمرار فيه ففيه وجهان، من دلالة ظواهر الكتاب والسّنّة عليه، ومن عدم تعقّل الاشتراط بشرط لاحق لمشروط سابق، والحقُّ اعتبارهما في استحقاق مدح المستغفرين بالأسحار لا في استحباب الاستغفار في السَّحر، وإن كان الثاني من لوازم الأوّل»[2].

جعلنا الله تبارك وتعالى من المستغفرين، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين.

النَّجف الأشرف في الثّالث من رجب الأصبّ ١٤٤٢هـ

---

(١) الكافي: ٣٨٠/٤، ح/٣٢٢٥.

(٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ٣٣/٧.

الْمَصادِرُ وَالْمَراجِعُ:

١- القرآن الكريم، كتاب الله سبحانه وتعالى.

٢- آفاق الرّوح، السّيّد محمّد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤٢٠هـ٢٠٠٢م.

٣- الاحتجاج، الشّيخ الطّبرسيّ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، النّجف الأشرف، الطّبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٤- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشّيخ المفيد (٤١٣هـ)، نشر وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٥- إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن محمّد الدّيلميّ، تحقيق: سيّد هاشم الميلانيّ، دار الأسوة للطّباعة والنّشر، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ

٦- أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق وتعليق: محمّد ابراهيم البنّا، محمّد أحمد عاشور، محمود عبد الوهّاب فايد، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.

٧- أصول المعرفة في شرح دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، عبّاس أحمد الرّيّس الدّرازيّ البحرانيّ، دار البلاغة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٨- أعلام الدّين في صفات المؤمنين، الحسن بن محمّد الدّيلميّ، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، قم.

٩- إقبال الأعمال، السّيّد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، قدّم له وعلّق عليه، الشّيخ

حسين الأعلميّ، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٠- الأمالي، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدّراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم، الطّبعة الأولى، ١٤١٧هـ

١١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، مؤسّسة البعثة، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٢- بحار الأنوار، المحدّث الشّيخ محمّد باقر المجلسيّ (١١١١هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطّبعة الرّابعة، ١٣٦٢هـ ش.

١٣- البلد الأمين والدّرع الحصين، الشّيخ إبراهيم الكفعميّ (٩٠٥هـ)، مكتبة الصّدوق، طهران، ١٣٨٣هـ.

١٤- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: محبّ الدّين العمرويّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٥- تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبيّ، انتشارات المكتبة الحيدريّة، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ

١٦- التّبيان في تفسير القرآن، شيخ الطّائفة الطّوسيّ (٤٦٠هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان.

١٧- تحف العقول عن آل الرّسول، ابن شعبة الحرّانيّ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطَّبعة الثّانية، ١٤٠٤هـ

١٨- التَّحقيق في كلمات القرآن الكريم، المحقّق المفسّر العلامة المصطفويّ، مركز نشر آثار العلامة المصطفويّ، القاهرة، لندن، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطَّبعة الثّالثة، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٩- تراث الشّيخ الأعظم الشّيخ مرتضى الأنصاريّ، إعداد: لجنة تراث

الشّيخ الأعظم، مجمّع الفكر الإسلاميّ، قم، الطّبعة الثّالثة، ١٤٢٦هـ

٢٠- ترتيب الأمالي، الشّيخ محمّد جواد المحموديّ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم، الطَّبعة الثّانية، ١٤٣٠هـ

٢١- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمديّ، المحقّق: مصطفى الدّرايتي، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم المقدّسة، الطّبعة الأولى.

٢٢- تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، مكتب الإعلام الإسلاميّ، الطّبعة الثّانية، ١٤٠٨هـ

٢٣- التّفسير، أبو النّصر محمّد بن مسعود العيّاشيّ، تحقيق: قسم الدّراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٢١هـ

٢٤- تفسير جوامع الجامع، الشّيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، تحقيق ونشر: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٣هـ

٢٥- تفسير القرآن الكريم، صدر المتألّهين صدر الدّين الشّيرازيّ، انتشارات بيدار، قم، الطّبعة الثّانية.

٢٦- تفسير القمّيّ، عليّ بن إبراهيم القمّيّ، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، قم المقدّسة، الطّبعة الأولى، ١٤٣٥هـ

٢٧- التّفسير الكاشف، الشّيخ محمّد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت، الطّبعة الرّابعة.

٢٨- التّفسير الكبير، الفخر الرّازيّ، الطّبعة الثّالثة.

٢٩- التّفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام، التّحقيق: مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام، قم المقدّسة، الطّبعة الثّانية، ١٤٣٣هـ

٣٠- تفسير من وحي القرآن، العلامة المرجع السّيّد محمّد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، الطّبعة الثّالثة، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

٣١- تفصيل وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة، الشّيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، قم المشرّفة، الطَّبعة الثّانية، ١٤١٤هـ

٣٢- تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر، مجموعة ورّام، الشّيخ ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتريّ (٦٠٥هـ)، تحقيق وتعليق: باسم محمّد مال الله الأسديّ، إصدار: شعبة التّحقيق قسم الشّؤون الفكريّة والثّقافيّة، العتبة الحسينيّة المقدّسة، كربلاء، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

٣٣- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطّوسيّ (٤٦٠هـ)، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفّاريّ، مكتبة الصَّدوق، طهران، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨هـ

٣٤- تهذيب اللّغة، أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ (٣٧٠هـ)، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، حقّقه وقدّم له: عبد السّلام محمّد هارون.

٣٥- التّوحيد، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: السّيّد هاشم الحسينيّ الطّهرانيّ، مؤسسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٣٩٨هـ

٣٦- جامع السّعادات، الشّيخ محمّد مهدي النّراقيّ (١٢٠٩هـ)، تصدّى لنشره والتّعليق عليه وتصحيحه: السّيّد محمّد كلانتر، منشورات جامعة النَّجف الدّينيّة، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

٣٧- الجامع الصّحيح (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجّاج النّيسابوريّ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٨- الجامع الكبير (سنن التّرمذيّ)، الحافظ محمّد بن عيسى التّرمذيّ (٢٧٩هـ)، حقّقه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، جمال عبد اللّطيف، دار الرّسالة العالميّة، دمشق، الطّبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٩- الجامع لشعب الإيمان، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ (٤٥٨هـ)، تحقيق: مختار أحمد النّدويّ، مكتبة الرّشد، الرّياض، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٤٠- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشَّيخ محمّد حسن النَّجفيّ (١٢٦٦هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

٤١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم الأصبهانيّ (٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٢- الخرائج والجرائح، قطب الدّين الرّاونديّ (٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام، قم المقدّسة، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٣- دعائم الإسلام، القاضي النّعمان المغربي (٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

٤٤- رسائل الشّريف المرتضى (٤٣٦هـ)، تقديم: السّيّد أحمد الحسينيّ، إعداد: السّيّد مهدي الرّجائيّ، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.

٤٥- روضة الواعظين، الشّيخ محمّد بن الفتّال النّيشابوريّ (٥٠٨هـ)، تحقيق: غلامحسين المجيديّ، مجتبى الفرجيّ، منشورات دليل ما، قم، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤٦- رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، السّيّد علي خان الحسينيّ المدنيّ الشيرازيّ (١١٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرَّفة، محرّم الحرام، ١٤١٥هـ.

٤٧- سبل السّلام شرح بلوغ المرام من جميع أدلّة الأحكام، محمّد بن إسماعيل الصّنعانيّ، تحقيق: عصام السّيّد الصّبابطيّ، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٨- السّيرة النّبويّة، ابن هشام (٢١٨هـ)، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع

فهارسها: مصطفى السّقّا، إبراهيم الأبياريّ، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، الطَّبعة الثّالثة، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٤٩- شرح أصول الكافي، المولى محمّد صالح المازندرانيّ (١٠٨٩هـ)، مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشَّعرانيّ، المكتبة الإسلاميّة، طهران.

٥٠- شرح دعاء الأسحار للإمام عليّ بن الحسين السّجّاد عليه السلام، آية الله الشّيخ محمّد مهدي الآصفيّ، مؤسّسة تراث العلامة الآصفيّ، ١٤٣٧هـ

٥١- شرح منازل السّائرين، عبد الرّزّاق القاسانيّ، تحقيق وتعليق: محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، قم، ١٤٢٧هـ

٥٢- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ (٦٧٩هـ)، مركز التَّبليغات الإسلاميّة، قم، ١٣٦٢هـ

٥٣- الصّحاح، تاج اللُّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطّبعة الثّالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٥٤- صحيح البخاريّ، محمّد بن إسماعيل البخاريّ (٢٥٦هـ)، وزارة الأوقاف، القاهرة، جمهوريّة مصر العربيّة، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٥٥- الصّحيفة السّجّاديّة الجامعة لأدعية الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، السّيّد محمّد باقر الأبطحيّ، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام، قم المقدّسة، الطّبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ

٥٦- الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة، من إنشاء الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، بتحقيق وتنسيق: علي أنصاريّان، سفارة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، دمشق، ١٤١٩هـ ١٩٩٩.

٥٧- الطّراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المُعوَّل، السَّيّد عليّ بن أحمد بن محمّد معصومٍ الحسينيّ، المعروف بابن معصوم المدنيّ (١١٢٠هـ)،

تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراث- مشهد، مطبعة تيزهوش، قم، الطَّبعة الأولى، ذو الحجّة، ١٤٢٦هـ

٥٨- عدّة الدّاعي ونجاح السّاعي، ابن فهد الحلّيّ (٨٤١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم، إيران، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٥هـ

٥٩- العقد الفريد، ابن عبد ربه (٣٢٨هـ)، تحقيق: محمّد عبد القادر شاهين، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٦٠- علل الشّرائع، الشَّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، انتشارات كلمة الحقّ، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٦١- عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير، أبو الفتح محمّد بن محمّد بن سيّد النّاس اليعمريّ (٧٣٤هـ)، تحقيق: د.محمّد عيد الخطراويّ، محيي الدّين متو، مكتبة دار التّراث، المدينة المنوّرة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

٦٢- الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمرو الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، تحقيق عليّ محمّد البجاويّ، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٦٣- فروق اللّغات في التّمييز بين مفاد الكلمات، نور الدّين الجزائريّ، حقّقه وشرحه: الدّكتور محمّد رضوان الدّاية، مكتب نشر الثّقافة الإسلاميّة، الطّبعة الثّالثة، ١٤١٥هـ

٦٤- الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكريّ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

٦٥- قرب الإسناد، الشّيخ الحميريّ، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، الطّبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٦٦- الكافي، ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر: قسم إحياء التّراث، مركز بحوث دار الحديث، قم، الطّبعة الثّالثة، ١٤٣٤هـ

٦٧- كتاب الأمالي، شيخ الطّائفة الطّوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: بهراد

الجعفريّ، وعلي أكبر الغفّاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطّبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.ش.

٦٨- كتاب جمهرة اللّغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد (٣٢١هـ)، حقّقه وقدّم له: الدّكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطّبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٦٩- كتاب الخصال، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ

٧٠- كتاب الخلاف، الشّيخ الطّوسيّ (٤٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٤٠٧هـ

٧١- كتاب العين، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٥هـ)، تحقيق: الدّكتور مهدي المخزوميّ، الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ، دار الرّشيد للنّشر، بغداد، ١٩٨٠م.

٧٢- كتاب الفرج بعد الشّدّة، القاضي التّنوخيّ، القاضي أبو عليّ المحسن بن عليّ التّنوخيّ (٣٨٤هـ)، تحقيق عبود الشّالجيّ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٧٣- كتاب من لا يحضره الفقيه، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، الطّبعة الثّانية.

٧٤- كتاب الهداية، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، الطّبعة الثّالثة، تحقيق: مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، الطّبعة الثّالثة، ١٤١٨هـ

٧٥- كتاب الوافي، الفيض الكاشانيّ، التّحقيق والتّعليق والتّصحيح والمقابلة مع الأصل: ضياء الدّين الحسينيّ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أصفهان، إيران، الطّبعة الأولى، ١٤١١هـ

٧٦- كمال الدّين وتمام النّعمة، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٤٠٥هـ.

٧٧- كنز العمّال في سنين الأقوال والأفعال، المتّقي الهنديّ (٩٧٥هـ)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٧٨- كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكيّ (٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفويّ، قم، الطّبعة الثّانية، ١٣٦٩هـ ش.

٧٩- لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ

٨٠- مجمع البحرين، الشّيخ فخر الدّين الطّريحيّ (١٠٦٥هـ)، تحقيق: السّيّد أحمد الحسينيّ، المكتبة المرتضويّة، طهران، ١٣٦٢هـ ش.

٨١- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٨٢- المجموعة الكاملة، عبّاس محمود العقّاد، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٨٣- المحاسن، أحمد بن محمّد البرقيّ، تحقيق: السّيّد مهدي الرّجائيّ، المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، الطّبعة الثّالثة، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٨٤- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول، العلامة المجلسيّ (١١١١هـ)، إخراج ومقابلة وتصحيح: السّيّد هاشم الرّسوليّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطّبعة الثّانية، ١٤٠٤هـ

٨٥- مستدرك سفينة البحار، الشّيخ عليّ النّمازيّ الشّاهروديّ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٤١٨هـ

٨٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النّوريّ (١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٠٧هـ

٨٧- مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السّيّد عبد الزّهراء الحسينيّ الخطيب، دار الزّهراء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

٨٨- مصباح الزّائر، السَّيّد عليّ بن موسى بن طاووس (٦٦٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، قم، الطَّبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨٩- مصباح الشّريعة المنسوب للإمام الصّادق عليه السلام، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٩٠- مصباح الفقاهة، تقرير بحث آية الله العظمى السّيّد أبو القاسم الخوئيّ، بقلم: الميرزا محمّد عليّ التّوحيديّ التّبريزيّ، المطبعة الحيدريّة، النجف، ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م.

٩١- مصباح المتهجّد، الشّيخ الطّوسي، مؤسّسة فقه الشّيعة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٩٢- المصباح المنير، المُقْري الفيّوميّ (٧٧٠هـ)، تحقيق: الدّكتور عبد العظيم الشّناوي، دار المعارف، القاهرة، الطّبعة الثّانية، ١٤٠٥هـ.

٩٣- المصنّفات الأربعة، الشّهيد الثّاني، التّحقيق: مركز الأبحاث والدّراسات الإسلاميّة، بوستان كتاب قم، الطّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٤- مصنّفات الشّيخ الصّدوق، تحقيق: اللّجنة العلميّة في مكتبة بارسا، قم، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٩٥- معاني الأخبار، الشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، عُنِيَ بتصحيحه: علي أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، ١٣٧٩هـ.

٩٦- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، د.محمود عبد الرّحمن عبد المنعم، دار الفضيلة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة.

٩٧- معجم مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (٣٩٥هـ)، بتحقيق وضبط: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٩٨- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزّيّات، حامد عبد القادر، محمّد عليّ النّجّار، دار الدَّعوة، استانبول، تركية، ١٩٨٩م.

٩٩- مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ (٥٠٢هـ)، الأميرة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

١٠٠- مكارم الأخلاق، الشّيخ الطّبرسيّ (٥٤٨هـ)، منشورات الشّريف الرَّضي، الطّبعة السّادسة، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

١٠١- مكيال المكارم في فوائد الدّعاء للقائم عليه السلام، آية الله ميرزا محمّد تقيّ الموسويّ الأصفهانيّ (١٣٤٨هـ)، التّحقيق والنّشر: مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام، قم المقدّسة، الطّبعة الرّابعة، ١٤٢٢هـ.

١٠٢- مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، الحافظ أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، تحقيق: السّيّد عليّ السّيّد جمال أشرف الحسينيّ، المكتبة الحيدريّة، قم المقدّسة، الطّبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٠٣- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلامة الحلّيّ (٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد المقدّسة الطّبعة الثّالثة، ١٤٢٩هـ.

١٠٤- موسوعة الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر، إعداد وتحقيق: لجنة التّحقيق التّابعة للمؤتمر العالميّ للإمام الشّهيد الصّدر قدس سره، انتشارات دار الصّدر، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠٥- موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشيّ، تحقيق: مهدي باقر القرشيّ، دار المعروف، مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، النّجف الأشرف، الطّبعة الرّابعة، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م.

١٠٦- موسوعة الشّهيد الأوّل، إعداد وتحقيق: مركز إحياء التّراث الإسلاميّ، النّاشر: المركز العالميّ للعلوم والثّقافة الإسلاميّة، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٠٧- موسوعة الشّهيد الثّاني، إعداد وتحقيق: مركز إحياء التّراث الإسلاميّ، النّاشر: المركز العالميّ للعلوم والثّقافة الإسلاميّة، قم، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

١٠٨- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، العلامة محمّد عليّ التّهانويّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٠٩- موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم المقدّسة، الطّبعة الأولى.

١١٠- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، مؤسّسة مطبوعاتي إسماعيليّان، الطّبعة الثّالثة، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

١١١- النّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزّاويّ، محمود محمّد الطناحيّ، مؤسّسة إسماعيليّان، قم، الطَّبعة الرّابعة.

١١٢- نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لجامعه: الشّريف الرّضيّ (٤٠٦هـ)، تحقيق: السّيّد هاشم الميلاني، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، كربلاء المقدسة، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

١١٣- نهج البلاغة، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدّكتور صبحي الصّالح، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، الطّبعة الرّابعة، ١٤٣٥هـ ٢٠٠٤م.

١١٤- ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسينيّ، دار الأسوة للطّباعة والنَّشر، قم، الطَّبعة الأولى، ١٤١٦هـ

الْفِهْرَسْت:



الاستغفار صمام أمان من جميع الكوارث والمصائب التي يقع فيها الإنسان حين يحيد عن جادّة الصواب، وهذا ما سيجده القارئ الكريم في طيّات هذا البحث المتواضع، فقد وضّحت فيه مفهوم الاستغفار وأهميته، ودوره في عودة الإنسان إلى سبيل الرشاد الإلهي، وتضمّن أنواع الاستغفار، وأشرت باختصار إلى أوقات الاستغفار وآدابه وصيَغِهِ الواردة عن النبي وآله صلوات الله عليه وعليهم أجمعين راجياً من الله القبول.